

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>



منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

قناديل البحر

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

الإهداء ...

إلى « إياد » جامع الأصداف الصغير ..

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

« أنت في هذا الطريق لست إلها ولا رسولا ،  
فاغسل يديك عن هذا الرد والقبول ، وتطهر من  
التعصب ، وكن عبداً مطيعاً في هذا الطريق .  
وما دمت حقة من تراب ، فتحدث عن التراب ،  
واعتبر الجميع أظهاراً ، وتطهر قولك ..... »

فريد الدين العطار

« منطلق الطير »

« قالت فماذا تروم ، قلت لها :  
ساعة سعد بالوصل تمسعدني .. »

صفي الدين الحلي

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

## تقديم :

هل من حقى أن ...

قليلاً ما نجد كاتباً يحدثنا عما يقع خلف الكتابة ، أو تحتها . والكاتب غائباً على حق فنياً ، فسبب كتابة القصة ، أو القصيدة ، يفسدها بالتأكيد إذا تمسك بإليها . لكن تظل معرفة ذلك عملاً هماً ، وكتابة فنية أيضاً مطلوبة ومفيدة ، ليس للدرس ، ولا لتتوير السادة أتباعين والنقاد فقط ، ولكن أيضاً لتفض الجراب كله ، لاستخلاص الراحة حتى الثمالة . الفن إشباع حقاً ، وتفرغ أيضاً لشحنات من الشجن السحري . كيف حقاً ندلق كل هذا الشجن على الورق ونحتفظ بالسبب ؟ . بالتأكيد تأخذ الكتابة ، في تصانيفها وظلالها ، مثيرها معها ، لكن يظل منه مسحة ، أو قرار ، أو لحظة مفعمة بالزمن ! .

لقد كتبت ، مرة ، أن سبب كتابته لقصة قصيرة بعنوان « الكلمات المنقطة » هو اختطاف الطائرات الأمريكية لطائرة الركاب المصرية التي كانت تحمل فدائيين فلسطينيين فوق البحر المتوسط . وقصة الكلمات المنقطة خاتمة من كل ما يشير إلى ذلك ، من قريب أو بعيد - يمكنك طبعاً الاطلاع على هذه القصة في مجموعتي « إغلاق النوافذ » - . وقلت أيضاً إن سبب كتابة قصة « الجدار » - المنشورة في إبداع منذ سنوات وسوف تضمها مجموعة قصصية قريباً - هو أنني رأيت صورة أحد الرؤساء الذين يتحدثون كثيراً عن الديمقراطية ويسجنون البلاد . وليس في قصة الجدار أى إشارة لذلك . إنها قصة رجل تحاصره الجدران في كل شارع يمشى فيه . وأستطيع طبعاً أن أؤكد عن كثير مما هو وراء كتابة أعمال لمى ولم يظهر فيها ، وعما فكرت فيه أو رأيته قبل الشروع في عمل فني كالقصة أو الرواية ، أو ما كان موجوداً بالقوة - باصطلاح

أرسطو - ثم صار موجوداً بالفعل ، جنيداً ومغايراً . المياعى كما ترى يتحول إلى نفسى ، روحى ، وجودى ، ويمسك بالمطلق عبر صور مادية مباغتة ، أندمش حين أقرأها ، أتسامل فى أى مكان فى النعاع ، أو القلب ، كان موجوداً هذا كله .. الإبداع عملية معقدة حقاً وجسيمة .

\* \* \*

فررت الآن أن أتحرر . أوسع الحلقة الحديدية حول عنقى ولو قليلاً . لا تسألنى عن الوقت الذى ترددت فيه قبل أن أقرر ذلك فهو طويل . كيف حقاً أناوى التراث الموروث والمورث لنا . الكاتب آخر من يستطيع أن يتحدث عن تجربته ، أو آخر من يفهمها . طيب . ليكن . لكنه يفهم ما حولها وما قبلها وما بعدها أيضاً فهل يمتنع عن التخصص فيه ؟ .. لا أظن . الكاتب فقط ، من الإرهاب الترائى ، يتصور أنه صار ممنوعاً من الكلام . لاحظ أن المبدعين المصريين منذ السنينات قليلو الإنتاج من ناحية الكم ، فبعد ربع قرن أو أكثر تجد المشاهير منهم لم يتجاوزوا خمسة كتب صغيرة الحجم . هل تعرف السبب ؟ . طبعاً سيدخل الحديث عن الظروف الاجتماعية والسياسية ، ولن يتحدث أحد بالطبع عن الإفلاس أبداً ، كما لن يتحدث أحد عن الإرهاب الضمنى الذى سببته العقولة الرائجة فى السنينات ، وحتى الآن ، وهى أن الكاتب يحتاج إلى سنوات طويلة لكتابة رواية جيدة ، وإلى أكثر من عام لكتابة قصة قصيرة . أخذت هذه العقولة شكل المطلق . وبعض الكتاب ظل سنوات بلا كتابة ثم اعنبر ما كتبه بعد ذلك إنتاج كل السنوات السابقة . ثم الخضوع لهذا المطلق الذى اخترعه الكتاب أنفسهم ، وتأخرت كتابات كثيرة ، وضاعت حقيقة أن العملية الإبداعية نسبية إلى أقصى درجة بقدر ما هى شخصية إلى أقصى درجة . وهناك أعمال قد تكتب فى سنوات وأعمال قد تتفوق عليها أو تضارعها قد كتبت فى شهر ، لأن العبرة

بالامتلاء والموهبة . امتلاء الكاتب بالتجربة وعمق موهبته . رغم أن الدقة مطلوبة والتأني أيضاً .

منذ السنينيات راجت فكرة أن القارئ لم يعد قادراً على قراءة الروايات كبيرة الحجم . وأن الرواية القصيرة ، أو القصة الطويلة ، أو النوفيللا - تخلصاً من هلاك المصطلحات - هى أنسب الأشكال . روج لهذه المسألة فى البداية معلمنا نجيب محفوظ بعد أن كتب « اللص والكلاب » ودخل مرحلة رواياته الفلسفية - هل لم تكن هناك فلسفة فى روايته السابقة ؟ - . صدق النقاد نجيب محفوظ - كالعادة - وصدقهم أيضاً كثير من الكتاب ، وساعدهم درس يحيى صدقى فى انتقاء اللغة ، ولم يحاول إلا القليل كتابة روايات كبيرة الحجم ، والحقيقة ليست كذلك ولا عكس ذلك . الحقيقة أيضاً نسبية . يمكن جداً لعمل كبير أن يقرأه القارئ أمرع من عمل صغير ، إذا كان الأول ممعناً ، والثانى سمجاً قليلاً ..

نحن إذن نقول الرأى ثم نحوله إلى قانون نسجن أنفسنا داخله ويتحول إلى تراث إرهابى . هل طال كلامى ؟ هل صرت مفهوماً ؟ لا بد أنك مستعد الآن لبوحى لك بما هو قبل وبعد كتابة روايتى التى بين يديك .

\* \* \*

« قناديل البحر » رواية قصيرة كتبتها فى عام صعب ، هو عام حرب الخليج . فقزت إلى روحى الرغبة فى كتابتها خلال قضاء أسبوع على شاطئ العريش الجميل فى شهر أغسطس من العام المشار إليه . وتمكنت منى الرغبة بعد عودتى وفراغتى لروائتين جميلتين لكاتبين عربيين . الأولى هى « المجموع » للكاتب الليبى إبراهيم الكونى والثانية هى « الريش » للشاعر والروائى الكردى - الذى يكتب بالعربية - سليم بركات .

لا علاقة بين العمليين المشار إليهما وهذه الرواية . لكن هذين العمليين ، ورحلة العريش ، كانت بلعماً حقيقياً بعد حرب الخليج التي أصابتنى بكرة شديد لكل مكان ممكن وكل زمان محتمل . لقد عشت ورأيت تبخر الأحلام التي كبرنا عليها . حلم الاشتراكية وحلم العروبة وكل ما يتنوع عليهما . صرت أحتاج وقتاً لأنواع مع الوقت . هناك طبعاً من يستطيع بسرعة تغيير جلده وفتح صدره لكل جديد سواء كان هذا الجديد نبأ للهزيمة أو نبأ للانتصار ، لكنني لست من هذا النوع ، ولا أظن أن مبدعاً حقيقياً يستطيع بسرعة أن يتخلص من قناعاته ، لأن قناعات الفنان غالباً ما تمتزج بالقلب . بل هي دائماً ما تفعل ذلك . كنت أحتاج وقتاً لأنواع مع الوقت . « المجوس » و « الریش » ورحلة العريش أعادت لي الشعور بأن النجاة في الكتابة . تكرتني بذلك ، وهو أمر لم يرغب علي من قبل ، وطالما قلت في أحاديثي إنني منذ السبعينيات وجدت أن الكتابة وحدها هي التي تساعدني على البقاء حياً . أن تكتب يعني أنك موجود . أو إن شئت فقل أنا أكتب إذن أنا موجود ، وبالفرنسية إذا أحببت أيضاً : « J'écris donc je suis » ...

لكن أسمح لي أن أضيف إلى ذلك أمراً قد يبدو نافهاً ، لكنه عميق إلى الدرجة التي أثارني فيها غاية الإثارة .. فقد وجدت نفسي أسمع لحناً جميلاً إنساب بعده صوت عبد الوهاب يغني بإحساس العاشق الحقيقي قصيدة « قالت » للشاعر العباسي الشهير صفي الدين الحلي ، المنسوب إلى مدينة الحلة ، التي هي بابل ، ومدينة عشقار وتموز الراعي ، والتي كنت أزورها دائماً كلما زرت العراق مع الوفود العربية وكان دائماً معنا ضمن الوفود أدباء من الكويت كبار ومشاهير وأدباء من كل مكان ، وأدركت وأنا أستمع لعبد الوهاب أننا قد ابتعنا كثيراً عن كل شيء ، وأنه لا سبيل لرؤية الكتاب والأدباء الذين كنا نراهم في بغداد والحلة والبصرة والموصل من كل البلاد . لئلا نعرف راحة لا علاقة لها بالنظام الحاكم . راحة

الحضارة الآشورية والبابلية والعربية . وتلك الأرائحة هي التي كانت مقصودة بالضرب ولم يكن مقصوداً ضرب النظام الحاكم .. لقد أذيعت أسرار العملية كلها والتفاصيل الجهنمية لما جرى منذ الأسابيع السابقة على الغزو العراقي حتى تحرير الكويت . لقد كتبت مرة في مجلة الهلال أنه يخيل لي أن اتهدف مما حدث أن لا يجد الأدباء العرب مكاناً يجتمعون فيه على اختلاف اتجاهاتهم ، أو مكاناً يضحكون فيه بعض ليال يستعدوا بعدها لعام من الآلام !!

لقد استمعت لأغنية « قالت » البديعة وطريقة عبد الوهاب في إيصال الاحساس الترامي في السؤال والجواب ، ودخلت غرفتي وبكيت بكاءً مراراً .

عدت إذن للكتابة في محاولة للوجود من جديد . وبالمناسبة للوجود الذي أعنيه بسيط للغاية . هو أن يمر بي اليوم هادئاً .. أنام وأصحو لأبدأ يوماً آخر هادئاً . هل ترى إذن أن يمكن تحقيق هذا الوجود بسهولة ؟ لا أظن . أن يمر اليوم بهدوء هف كبير في عصرنا .

انتهيت من هذه الرواية القصيرة في شهر مايو ١٩٩٢ وكنت بدأتها في نهاية أغسطس ١٩٩١ . وبالمناسبة أنا أميل لاصطلاح رواية قصيرة أكثر من اصطلاح قصة طويلة علامة على هذا الفن البديع الذي يتوسط القصة والرواية . فالرواية القصيرة تعبير يوحى بالكثيف والدقة بينما القصة الطويلة توحى بالإطناب والإطالة .. قلت إنني انتهيت من الرواية في شهر مايو ١٩٩٢ . ثم سلمتها إلى الشاعر أحمد الشهاوي سكرتير تحرير مجلة نصف الدنيا بعد ذلك بشهرين ، أي في يوليو أو أغسطس . وقال لي إنها ستشر بعد شهرين أو ثلاثة من استلامها حيث هناك بعض القصص القصيرة الموجودة بالمجلات لعدد من الكتاب من الضروري الانتهاء منها قبل المشروع في نشر رواية مسلسلة . وجدت الأمر معقولا وانتظرت حتى وقع الزلزال الزهيب في مصر يوم الاثنين ١٢ أكتوبر ثم بدأ نشر الرواية يوم الأحد التالي ١٨ أكتوبر عام ١٩٩٢ .

كان على في ذلك اليوم أن أنهب إلى المجلة لمراجعة بروقات الحلقة الثانية ، ووجدت أمامي ما لم يخطر لي ببال .

وجدت مونولوجاً قصيراً يتردد في روح البطل ، ناجي ، وهو يتذكر زيارته في العام الماضي لبلدة ومصيف مرمى مطروح . ووجدت في هذا المونولوج إحساساً مبكراً بالزلزال الذي وقع يوم الاثنين ، وفيه بالنص كلمات جيولوجية « ستحدث حركات تكوينية ... إلخ إلخ » . من هذا المونولوج يرى البطل ، ناجي ، ذهابه للمصيف في مرمى مطروح كأنما هو ذهاب القيلة إلى محطتها الأخيرة ، موتها ، وفي المونولوج صورة دراسية / تراجمية قاسية لم أقصدها بالطبع حين كتبت ، وهذا هو ما أرق روحى حين قرأته . لم أكن منتبهاً إليه ، وتساءلت كيف اندلق حقاً كل هذا الحزن . ارتبكت بشدة ، وكنت مرتبكاً في الأصل بسبب ما وقع للبلاد من أثر الزلزال ، ومن حائلة الترفق الفرع التي سادت الناس والبيوت ، ومنهم بيتي طبعاً ، وبسبب التوابع التي استمرت لأيام . كان الرعب من انهيار المنزل أو تصدعه رابضاً في دماغ الناس جميعاً . وأنا واحد من الناس . هل من الممكن حقاً الخروج إلى الشارع - إذا قدر لنا النجاة - والبحث من جديد عن شقة بعد أن كنت نسيت ذلك من زمان ! . أضف إلى ذلك نكبة صديقي الناقد عبد الرحمن أبو صوف الذي تصدع بيته وكان يحدثني كل يوم متوتراً متألماً وكنت أنا أيضاً أحدثه حتى أهون عليه . ومن ثم لم أجد أي فرصة للابتعاد عن مناخ الزلزال وتوابعه . ثم قرأت الحلقة الثانية من الرواية لأجد فيها هذا الاستبصار بالزلزال فركبني الحزن ، وخفت - حقاً - أن تمتد الرؤيا فتحدث براكين كما جاء في المونولوج المبالغ المخيف لناجي بطل قصتنا .

لقد تحدثت في ذلك مع أكثر من شخص ، وأحسست بعدم قدرتي على الكتابة . شملني خوف من الكتابة ، وتكررت مواقف أخرى مثالية في أعمال نى سابقة نادراً ما تحدثت عنها . منها موقف الصبي « على » في

رواية المسافات حينما مشى في الخلاء يقذف بالأحجار التي يتعنى أن لا تسقط على الأرض قبل أن يراها الناس تمر بالبلاد لعشرات السنين ويتساءلون عنها فيقول أعمارفون إنها « حجر على ألقاه منذ عشرين سنة ولم ينزل بعد » وهكذا تتوالى صورة الحجر الطائر / الخالد عبر السنين . المسافات رواية انتهت كتابتها عام ١٩٨٠ ونشرت عام ١٩٨٢ لأول مرة .

كذلك هناك حوار واضح محدد في رواية بيت الياسمين بين شخصيتين يسعى أحدهما دائماً للمفر إلى الكويت ويمحور حياته حول هذا الهدف فيقول له الآخر « مصير البترول بخلص أو تقوم حرب وتولع الدنيا » .

هكذا بالضبط في رواية منشورة عام ١٩٨٧ . وفي روايتي الأخيرة « البلدة الأخرى » التي انتهت من كتابتها عام ١٩٨٨ - والعبرة دائماً بتاريخ الكتابة - والتي ظلت عند دار الرئيس للنشر منذ عام ١٩٨٩ حتى عام ١٩٩١ حيث صدرت - في هذه الرواية أكثر من موقف حدث بعد ذلك . الرواية تبدأ بغزول المطار ببلدة تبوك السعودية فيرى البطل طائرة حربية أمريكية ، وتنتهي بالعودة من نفس المطار ليرى البطل طائرتين بدلاً من واحدة . وفي الرواية حديث للبطل مع أحد اليمنيين حول التسهيلات الممنوحة لليمنيين في المملكة فيقول اليمني « ومن يضمن بقاء الحال ؟ » ولقد حدث بعد حرب الخليج أن تغير الموقف من اليمنيين تماماً . وفي الرواية أيضاً فح منصوب للفلسطيني لم يستطع أبداً الفكاه منه رغم كل محاولاته حتى تم طرده من البلاد . وهكذا ، لقد أدركت ذلك كله بعد أن قرأت تقرير اثنافذ المعروف الدكتور صبري حافظ لدار النشر حول الرواية ، وقل فيه إن بها استبصاراً بحرب الخليج وما جرى فيها من أحداث .

هذا كله لم أُنَبِّه إليه أثناء الكتابة ، بل بعدها ، حين يكشفه ناقد أو صحفي جاء بجرى معي حواراً . ولقد قُلت في أكثر من حوار حول هذه الظاهرة في أعمالي إنها من نوع الاحساس العميق بالكارثة ، فجئني في اللحظة التي بدأ فيها يدخل في تسيج الحياة الاجتماعية واجهته هزيمة ١٩٦٧ . ومنذ ذلك اليوم وكل شيء يتراجع حول هذا الجيل . ولقد تضايقت مرة من هذا الاحساس العميق بالكارثة الذي يلون الكتابة نفسها ، لكن الدكتور شكرى عياد في إحدى دراساته - انظر مجلة الهلال عدد يوليو ١٩٩٠ - قال : إن شيئاً مهماً في شخصيات إبراهيم عبد المجيد هي أنها لا تستسلم بسهولة ، وأن بها عناداً .. لقد أضاء لي معنى الأمل الذي تمنيت أن يكون في أعمالي ، وكان موجوداً ويدركه الناقد الفضل الحضيف .. نفس الأمر أدركه الناقد الكبير الدكتور على الراعى في دراسته الممنعة عن رواية الصياد واليغام - انظر كتابه الزائع الكبير عن الرواية العربية - . والحقيقة أن عدداً كبيراً من النقاد أدرك هذا الأمل رغم أن ناقداً كبيراً مثل الدكتور لويس عوض كان يتهم جيلنا بالانهزامية . لكن المرحوم لويس عوض لم يكن يقرأنا ...

في ندوة حول رواية البلدة الأخرى في مؤتمر الرواية الذي أقيم بجامعة القاهرة في بداية عام ١٩٩٢ تحدث الدكتور جابر عصفور وقال : إننا عندما نصل إلى نهاية رواية البلدة الأخرى ونجد طائرتين أمريكيتين بدلاً من طائرة واحدة نجد أنفسنا مدفوعين لإعادة قراءة الرواية مرة أخرى لفهمها في إطار هذا المعنى الجديد .. لكنني أعترف لك أيها القارئ أن كل هذه الاستبصارات لم تكن من تخطيطي ، إنما هي كما قلت لك نبت الإحساس الرابض في روعي باستمرار الكارثة . لكننا أبدأ لن ندخل في الممات ، هذا أيضاً موجود في روعي وإن كانت طبقته عميقة تظهر على امتحان . لقد قُلت لأحد الصحفيين حول الصبي « على » الذي كان يلقي بأحجار يود لو لم تنزل إنني لم أكن أُنَبِّأ بشيء ، ولم أكن أُنَبِّأ بثورة

لحجارة بالتحديد ، تكن « على » صبي يفعل ما يفعله الصبية في الخلاء ، وإن كان يبدو متألماً من استسلام الكبار من حوله نظروفه انصبة ويود معرفة سبب ما يقع لهم من بلاء . ونفس الشيء قلته الآن لك عن استبصارات تالية بنت الاحساس العميق بالكارثة التي لونت نظرة جيلي منذ عام ١٩٦٧ ، ولقد قُلت ذلك في حديث قريب للصحفي الشاب أتابه يسرى حسان في مجلة « حريتي » عندما أدرك ما جاء في الحلقة الثانية من هذه الرواية حيث نشرت بمجلة « نصف الدنيا » من استبصار بالزلزال ..

والآن ما علاقة هذا كله الذي قلته لك بالرواية . لا أعرف ، لكنه قد يكون مفيداً أن تعرف شيئاً عن الظروف التي أحاطت بهذه الرواية قبل كتابتها وبعدها . أما أثناءها فلم يكن هناك إدراك عميق عندي بما أكتب ، هكذا جرت العادة ، تكني كنت أشعر دائماً بأشياء كثيرة كانت في يدي طارت مثل عصافير منونة واختفت في الفضاء . وبين يدك الرواية قد تعرف منها الطيور التي طارت ولم تعد والطيور التي بقيت في الأرض .

إبراهيم عبد المجيد

الجزيرة : صباح ١٩٩٢/١٢/٣١

## را - بح

خلاء مزروع بأشجار اللوز ، وأشجار الزيتون القديمة ، وأشجار  
عنب قصيرة ثم تشند بعد . وجه الأرض أخضر ، وتبدو الخطوط الرملية  
الصفراء بعيداً هناك مع مد البصر ، بعدها تتفرق نباتات صحراوية  
خضراء وجافة ، حنك وصبار وحنظل وشيح ومرمرية وحشائش  
شيطانية . فوق الجميع فضاء واسع تبعثرت فيه سحب بيضاء شفيفة  
ترتفع فوقها السماء بغير غمد ، وبزرقة نادرة ، والهواء قائم من كل اتجاه  
منعشاً رطباً رغم أن الشمس تصعد بسرعة لتتسيد الدنيا ..

ترجلوا منذ قليل تاركين الميكروباص ، وتفرقوا يميناً ويساراً .  
لا يزيدون عن الثلاثين ، ونصفهم على الأقل من الأطفال ، أمامهم  
مباشرة ، وبعد أن ترجلوا بأمطار قليلة ، تمتد الشبكات السلكية السمكية إلى  
الناحيتين . في الوسط حيث توقف السائق بالميكروباص ، بوابة عريضة  
تكفي لمرور حافلة كبيرة ، مفتوحة الآن إلى نهايتها ، ضلفتها  
المفتوحتان هيكلا من المواسير القديمة ، المتصلة فيما بينها بالشبكات  
السلكية .. خلف البوابة ، إلى اليمين واليسار مع امتداد المسلك ، طريق  
مسلط لا يزيد عرضه عن خمسة أمتار . طريق جديد تكن لا يبدو أن  
أحداً يستخدمه . خلف الطريق ، وفي موازاة معه ، ومع المسلك الشبكي  
الأول ، يمتد سلك آخر ، شبكي أيضاً ، لكنه أغلظ ، وأعلى ، وأكثر جدة ،

## منتديات مكتبة العرب

وسمكاً ، وانحداداً . يمتد هذا السلك الأخير إلى الشمال حيث تتوسطه  
 بوليه عربيه ، معنوحه ، أمامها ناحية واسعة ، مسطحة بعنابة ، تقف فيها  
 حصنة نوبسات سياحية مصرية ضخمة فارعة تنتظر ركاباً من الأرض  
 المحنة ، تطعم عادة حتى الثوانه . أتوبيلات إمبراطورية .. السلك الأخير  
 هذا هو حدود أدولة العربيه الآن ، حفه أكثر من كشك خشبي المقف جب  
 لبداء ، ويوسط الجميع برج الحراسه العالى الذى لا يظهر منه غير حوذة  
 الجندى البيضاء تتحرك دائرياً .

خلف المشهد كله عدد من الكتبان الطبيعية العالية ، المزروعة المفتح  
 حتى وسطها تقريباً ، وفوقها اتساع العشاء ورزقه . إنه البحر الذى  
 لا يره أحد الآن هو الواقع وراء الكتبان ، وهم يعمون فى منطقة السهول  
 الساحلية الشهيرة التى تربط بين فلسطين وإفريقيا ، والتي كان فوقها  
 قديماً ، حتى عام ١٩٦٧ بالاضبط ، خط السكة الحديد الذى كان يمر  
 ببالوطة ورمانة والمساعد والعريش والحروب والشيخ زويد وزرقع قبل  
 أن يدخل إلى غزة وخب بورس . لم يبق على السهول الآن من طرق  
 إلا الطريق البزى الجديد ، لأن الطريق القديم أكلته الحروب والسيول .

على هذه السهول مثل الأنبياء الذين دخلوا مصر ، وعنيها خرجت  
 الجنوش من مصر لتمشى إلى الشام ، وتأتى منه أيضاً إلى مصر غارية .  
 إنه طريق « حورس » اللقب الذى كان يحبه كل فرعون . عليه طارد  
 همس الهكسوس إلى أن حاصرهم فى تل الفرعة جنوب فلسطين ثلاث  
 سنوات كاملة حتى استسلموا . ونم نكن ربح « را - بح » الفرعونيه ،  
 بقطة حدود قط . كانت آخر البلاد المصرية ، لكن الجنود المصريين كانوا  
 لا يتوقفون إلا عند .. يتجاوزوها بكثير . إحدى برديات سينى الأول ،  
 أحد ملوك الأسرة الثامنة عشر ، فى العام ١٣١٥ ق.م ، تذكر تمرد البدو  
 على سلطته ، هناك فى سوريا :

٢٠

« لقد وصل إلى علم جلالته أن الشاسو - البدو - الحشيش قد دمروا  
 العصيان ، وتجمع رؤساء قبائل « الثرتو » وأعضوا عصيتهم هم  
 والأميديور فى خارو - سوريا - وأخذوا يهتبون الناس ويتشاجرون  
 ويقتل كل منهم جاره وعصوا قوانين الملك » .

على نفس هذه البردية وصف للطريق الماحلى من « را - بح » إلى  
 القنطرة للحالية . إنها نفس البلاد ، وهو أيضاً طريق « الشامات » الشهير  
 فى سيناء الذى يقابله « درب الحج » فى الجنب الذى يمر بمناطق  
 الخروج الأسطورية ، عيون موسى وجبل موسى وحمامات فرعون  
 وهضبة أنتيه وجبل المناجاة وجبل الصور أقصى الجنوب ، والودى  
 المقدس طوى الذى لم يتعرف عليه أحد بعد . لكن هذا كله ، فى الشمال و  
 فى الجنوب ، صار بعيداً الآن ، فى الزمان ، وفى المكان أيضاً .. هذا  
 دولة مدججة بالسلاح تقف تقطع طريق الشامات لشمالي وطريق الحج  
 الجنوبي ..

عند البوابة القريبة التى تتوسط سلك الحدود المصرية ، يقف الكشك  
 الخشبي الصغير ، الذى يتسع لشخص واحد ، والجندي ضئيل الجسم  
 يحمل البندقية الآلية القصيرة خلف كتفه . على جدار الكشك من الداخل  
 تليفون الميدان القديم .. انتهى الجندي من الكلام فيه ، والتفت يحدث  
 مسئول الرحلة .

- نأسف لـ نستطيعوا البغد أكثر .
- حسارة ، لماذا ؟
- الصبب نائم ولا يمكن إيقاظه .

يبدو واضحاً أن الصابط المعنى موجود داخل كشك من مجموعة  
 الأكشاك التى يرومها فرية على يسارهم ، والتي تنوزع سبها أشجار  
 زيبون ولوز وتحول . بالطبع فى مثل هذه الحالات لا يكون ممنوحاً

للجندى ، ولا لأحد آخر ، التوجه لإيقاظ الضابط ، والمندوبون طبعاً لا يستطيعون الدخول إلى الأكشاك التى تحيطها أسلاك شائكة كثيفة . حقاً بحركت بير الأكشاك عند من الجيود ، لكن لا يبدو أنهم يدركون وجود أحد غيرهم ، أو مهموم بهذه الأفواج السياحية .

الآن ليس أمام الجميع إلا التقاط الصور التذكارية للحدود التى يرونها لأول مرة . كل أسره يلتقط لنفسها عدداً من الصور . وهو ، ناجى ، فى اللحظة التى يفكر فيها فى زوجته وأطفاله ، يجنم قريبين منه . مع صديقه سمير وزوجته وطفليته . سمير منهمك فى التقاط الصور للأمرتين ، وجواره مباشرة يقدم الابن الأكبر ، زياد ، ليقف بعيداً عن التصوير .. ويجد ناجى نفسه جوار مسئول الرحلة مرة أخرى ، ورجلين من زملاء المسئول يسمعه يحدثهما .

— كيف أتصرف الآن ؟ إننا ندخل كل يوم بلا مشكلات . لا يرد الاثنان . يتدخل هو ، « ناجى » .

— أليس هذا السلك الثانى هو الحدود الإسرائيلية ؟ هو ذا .

— وهل فى برنامج الرحلة دخول دولة إسرائيل ؟ لا ...

يهتف مسئول الرحلة بذلك فى استنكار شديد معاجى .

— إذن ما هى المشكلة ، وإلى أين كنت تريدنا أن نتقدم ؟ كس سنمير البوابة .

يعود ناجى من جديد يتأمل ما يقع خلف البوابة . ليس غير الطريق الأسفلتى الحديد غير المستعمل الذى يفصل بين حدود الدولتين .

— تقصد تقف فى هذا الطريق ؟

— بانضبط .

— وهكذا نكون تقدمنا أكثر ؟

— طبعاً .

بينهم ناجى الذى يصطر أن يكلمه دهشه . يقول :

— لا أظن أن خمسة أمتار مسافة كبيرة .. ثم إن لى يرى أكثر مما نرى الآن .. ونحن أيضاً محتاجون أن نرى البلدة نفسها أكثر من الحدود .

لكن مسئول الرحلة لا يزال يبدو ساخطاً . ينظر إلى رميليه ويتحدث إليهما وهما يتقدمان نحوه ، ثم وهو يتقدم معهما ولا يتوقف عن الكلام .

— لا فائدة . لن نتقدم أكثر فعلاً . هيا نعود إلى البلدة . كنت أحب أن تكون الرحلة أفضل . نحن نسير البوابة كل يوم ونقف فى الشارع كل يوم مع كل هوج . أنا لا أصدق أن الضابط نائم . وحتى لو كان ذلك فالجندى يعرف أن الضابط يسمح له بعبور البوابة والوقوف فى الشارع .

يرى ناجى الشمس تزداد ارتفاعاً ، ولجندى الصغير يقف جوار الكشك والبوابة غير مبال بانصرافهم . يدرك ناجى لماذا تبدو ثياب الجندى قديمة حائلة . ويدبر وجهه إلى العشاء يعرف أيضاً لماذا يبدو له منمياً فى هذه الدنيا ..

\*\*\*

## الأغنيات

حط الصمت للعرب عليهم والمسايق يتحرك بهم إلى البلدة . نص  
الصمت الذى شملهم حين تحركوا من الشاطئ قبل ساعة ونصف .

كانوا ، فيما يبدو ، ولا يزالون ، يتألمون النوم ، أو يدخلون فى حالة  
من الترقب للطريق والرحلة . لكن لماذا يحيط بهم نفس الصمت الآن  
والوقت اختلف والرحلة تبدأ فى الإياب ؟ . ما يعرفه ناجى هو أن هؤلاء  
الناس زملاء فى شركة واحدة يعمل فيها صديقه سمير الذى دعاه  
وزوجته ، لصحبتهما وأسرتهم هذا الأسبوع .. ومنذ بدأت الرحلة من  
القاهرة لا يبدو أن أحداً يعرف أحداً . حالة من التوجس تلبست للجميع .  
حتى النساء لم تقتربن من بعضهن . بسمة هنا ، نحية هناك بأطراف  
الأصابع ، فى الوقت الذى اكتفى فيه ناجى وزوجته ، اللذان لا يعملان فى  
نفس الشركة معهم ، بصحبة سمير وزوجته ، وتعرفا فقط ، فى اليوم  
التالى للوصول ، على أسرة أخرى فى الشاليه المجاور .

ارتفعت الألفة بسرعة بين نور الصباح زوجة ناجى وخديجة ،  
الزوجة التى فى الشاليه المجاور ، وكان طبعاً أن يتعرف ناجى على  
جواد زوج خديجة بعد أن تعرفت الزوجتان كل منهما على الأخرى . لقد  
رأى فيه شهماً كبيراً بأحد أصدقائه ، وقال له ذلك فعلاً ، لكنه اكتشف نسيانه  
لاسم صديقه تماماً فأحس بالحرج . كان يود أن يؤكد على هذا التشابه  
بإعلان اسم صديقه دلالة على صدقه ، رغم أن جواد زوج خديجة  
لا يعرف بالطبع أصدقاء ناجى . ولم يهمل ناجى التفكير بعد ذلك فى اسم  
صديقه حتى يصل الحديث المقطوع مع جواد ، عن التشابه بينه وبين هذا  
الصديق المنسى .. الحقيقة أن ناجى ، منذ أن وصل الاتوبيس بهم إلى

معدية القردان فى طريق قديمهم ، وغمر وجهه وجسده هو ، القفاة ، وهو  
يحاول الهروب من تكريرات كثيرة ، بمحاولة مرأية من حوله من أعضاء  
الرحلة ، لذلك رافقه كثيراً حكاية المرأة التى فرصت نفسها على  
نور الصباح وخديجة وشادية زوجة سمير . قالت له نور الصباح إنها  
لمرأة لطيفة اقتربت منه على السلاح ، وبطلت فى الحديث معهن  
بلا مقدمات ولا دعوة من أحد ، وكن يتحدثن عن هذه الشواطئ الواسعة  
كيف يتركها الناس وينهبون إلى الاسكندرية ورأس البر وبورسعيد التى  
صارت مزينة وقذرة . وحدثتهن المرأة ، واسمها شهرزاد ، عن  
زيارتها للعريش مع زوجها لأول مرة منذ عامين ، وكيف أنهم لم يعودوا  
إلى القاهرة بعدها . فى نفس اليوم الذى قررا فيه عدم العودة تسلف شقة  
واسعة من المحافظ ، وتم نقلهما من التدريس بالقاهرة إلى التدريس  
بالعريش ، وازداد مرتبهما إلى الأضعاف بحكم وجودهما فى منطقة  
ثانية ، وابتعدا هكذا عن الأهل والجيران ، وازداد حبهما . ذلك يبدو  
واضحاً حين ينزلان إلى البحر . شهرزاد تحب البحر فتأتى كل يوم ،  
زوجها لا يحب البحر لكنه يحبها فتأتى كل يوم . تنزل هى تنقلب فى  
المياه ، وهو الذى لا يعرف النجوم أبداً ، لا يفعل أكثر من الوقوف  
خلفها ، جاعلاً من جسده مقياساً لعمق الماء فلا يسمح لها بتجاوزة ، يقف  
دائماً بحيث لا يرتفع الماء إلى صدره . لا يرى أنه بوقوفه هكذا يترك  
نفسه فريسة سهلة للموج ، الذى إذا اشتد حملته بعيداً ، وطرحه تحت  
الماء ، على الأصداف والرمال ، وقلبه مرة أو مرتين ، مما يجعله يقوم  
هزاعاً باحثاً عنها منادياً عليها قبل أن يفتح عينيه ، وتكون هى قد استعادت  
مكانها وزمانها ، وتقف تنظر إليه ببعض من فرح وسعادة .

هل يُسعد المرأة فى بلادنا أكثر من زوج يحبها ؟ . تساءلت  
نور الصباح وهى تحكى لنا حكاية شهرزاد وزوجها ، وقالت أيضاً  
إنها ، شهرزاد هذه ، تتعمد أحياناً الاحرق قليلاً من الوقت تحت الماء بعد

## رفح

شارع غير طويل ، مقبول عند النهاية ببوابة معنوعة يقف أمامها جندي الحراسة المصري . خلف البوابة المصرية الشارع الأسفلتي الذي يضيق هنا قليلاً ، وخلفه البوابة الإسرائيلية .

الشارع هو هو لم يتغير حتى ليكاد يكون كأنه تركه بالأمس .. فقط كان في مواجهة الجنود المصريين جنود الأمم المتحدة ، ولم يكن المصريين والإسرائيليون يرون بعضهم . لكنه لم يمض وقتاً طويلاً في رفح ذلك الوقت . لقد حمل من مدرسة التدريب في الهايكستب ، وهو بعد لم يقض ثلاثة أشهر ، إلى هنا عند أقصى نقطة في الحدود .

تجاورتهم دبابات البانتر بسرعة ، ولم يهتم القائد الإسرائيلي بتصفية المقاومة لأنه كان مهتماً بالاندفاع السريع إلى العمق العملياني . ترك مهمة التطهير لقوات أخرى قادمة بعده ..

عرف ناحي فيما بعد أن هذا القائد هو « جوتين » الذي سيكون عام ١٩٧٣ قائداً للقوات الإسرائيلية في شبه جزيرة سيناء كلها ، وسيصطاد ناحي كثيراً من دباباته .

لا كشك للحراسة هنا .. ذلك ما يبدو واضحاً للجميع . الجندي الصغير يقف في العشاء خلفه ضابط شاب يجلس ، وحوله ثلاثة جنود واقفون يستمعون إلى حديثه . برج الحراسة الإسرائيلي يعلو مبنى عريضاً ، حوله أشجار كثيفة يتحرك بينها عدد من الجنود .. خلف البوابة الإسرائيلية عند كبير من الفناء والرجال العرب السود نوحون لرجل يقف في اتجاه المصرية . يتقدم ناحي منه فيجده شيحاً في حوالي السبعين يقول لناحي بمجرد أن يراه :

محرم الموجة نريد من قلق الزوج ، وتنتظر بعد ذلك في خبث إليهم ، نور الصباح وخديجة وشادية ، تشهدن على حب زوجها لها ، وقدرتها على تعذيبه . لقد قالت لهن إن ذلك لم يكن يحدث في القاهرة قط وأجهشت بالبكاء .

لم يعرف ناحي شيئاً عن شهر زاد وزوجها . رأى مشهدهما في العاء يتكرر كل يوم . لم تنقل إليه نور الصباح أية معلومات إضافية . ولم يدر أيضاً أن أكثر أعضاء الرحلة تالفاً كان الأطفال ، صبية وبنات ، وبينهم أبناءه زياد ووائل وإيلاد أصغر الجميع المشغول بالأصناف تحت الماء القريب من الشاطئ .

الأطفال هم الذين كسروا الصمت الذي دخل دخل فيه الجميع منذ لحظات . صوته يرتفع الآن ، تلاماً كما ارتفع وهم قادمون يوم الجمعة الماضي من القاهرة ، يغنون مع صوت المسجل الذي انطلق من السيارة ، وها هو زياد يقود الأولاد في الغناء ..

كيف حفظ زياد كل هذه الأغنيات حقاً ؟ . أغنيات هذا الجيل سريعة الارتفاع ، التي لا يطبقها ناحي ولا نور الصباح ، ولم يفكر يوماً في شراء شريط واحد منها ؟ . ناحي يشعر الآن بحلاوة من نوع خاص في هذه الأغنيات ، ربما لمناسبتها جو الرحلة والمرح . العجيب أن نور الصباح سألته كيف حفظاً هذه الأغنيات جميلة حين تنطلق من مسجل للسيارة الممرعة ؟ . لكن الجميع يسمعون مسئول الرحلة يهتف فجأة :

— رفح يا جماعة .. آخر الشارع هذا نقطة حدود أخرى .. يمكن لكم النقاط الصور وشراء ما نحتاجون من محلات الشارع .. سنقف هنا ساعة كاملة قبل أن نتحرك إلى الشيخ زويد .

\* \* \*

— هادون أولادى وأحفادى . لى ثلاثة أيام هنا وكل يوم فى نفس الموعد ينور ليروسى وأراهم . ساعود إليهم غداً . هنا بقية عائلتى . حواى وأخوانى ولولادهم وأحفادهم ..

لم يكر ناجى قد سأله عن أى شىء . يتنسم للرجل ، ويرى صديقه سمير ، وحلعه شادية ونور الصباح والأطفال يهضون فى زقاق ناحية اليمين . يلحق بهم . يحدثه سمير :

— أحيانا مسئول الرحلة أنه عند نهاية هذا الزقاق امتداد للحدود ، سنكون أيضاً قد دُرنا حول البوابتين ، ويمكن أن يلتقط صوراً دون توتر أو اعتراض من أحد . ألا نلاحظ هنا أن العلم الإسرائيلى أعلى قليلاً من العلم المصرى .. ؟

كان العلم فى منطقة الحدود التى زاروها منذ قليل يكادان يتساويان فى الارتفاع . هنا يبدو ارتفاع العلم الإسرائيلى شيئاً مقصوداً . ربما لأن الشارع تجرى بآنيه عدد كبير من المصريين كل يوم . يفكر ناجى ، لكنه ينظر فلا يجد أولاده الثلاثة . اختفوا فجأة . يلتقط بسرعة الصور التى يريد صديقه سمير . يلاحظ أن خديجة وزوجها جواد قد لحقا بهم ، ويلتقطن صوراً أيضاً . يعودون بسرعة إلى الشارع .

الشارع ليس ضيقاً . بل يبدو واسعاً من أثر الامتلاك الفاسد لضوء الشمس . حين توقف السائق منذ قليل كانت هناك حافلات أخرى تقف منتظرة انتهاء ركابها من الشره من المحلات التى على الجانبين . للزحام واضح أمام ودخل المحلات . الجانب الأيسر من الشارع أكثر إشعاساً . الجانب الأيمن فيه ظل صليل لذلك اشتد به الزحام . التوايل كثيرة باهرة للسير . راتحتها البعثة تشتمع فى العصاة الساكن . طفل أسود ، وأحمر ، كمون ، كمجرة ، دارصيسى ، بن ، بهارات ، زعفر ، زعفران ، عجوة ، جورة الطيب ، مستكة ، سكر نبات صينى ، مكمرات بأنواعها ،

زبيب ، جوز هند ، روالح وشامبوهات وصابون زينة وصابون مزيل للبقع ، وشاى أسود وشاى أخضر ، وبريطيدى التى احتلت الهند من أجل التوابل والشاى ، والحروب التى قامت فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر من أجل طريق التوابل والشاى .. يا إلهى كم نحن قريبون من آسيا إذن .. ناجى يهتز معاجاة .. إنه فى آسيا بالفعل .. شىء مثير حقاً أن يكون الانتقال من إفريقيا إلى آسيا سهلاً على هذا النحو . مجرد عبور لقناة السويس . ألهذا حقاً تكالبت الدنيا على الهلال ؟ .. سيناء هى المفصل ، أو الحفدة الطبيعية التى تلحم إفريقيا بآسيا ، ومصر بالشرق العربى . فى سيناء تجتمع مصر والشام والجزيرة العربية جيولوجياً وتضاريسياً . حقيقة جغرافية . السهل الساحلى الذى يمتد جوارهم منذ خروجهم من العريش فى الصباح ، والذي كان يمتد جوارهم أيضاً وهم فى طريقهم إلى العريش يوم الجمعة الماضى ، هو استمرار لسهول فلسطين ، والهضبة الوسطى الشهيرة هى امتداد مباشر لهضبة الصحراء أو بادية الشام ، والجبال الجنوبية هى عقد الالتحام بين جبال حافسى الأخدود ، البحر الأحمر ، فى حوض النيل والجزيرة العربية . لكن آسيا هى آسيا وإفريقيا هى إفريقيا وهو يشعر بنفسه يتصرف كإفريقى حقيقى . كيف يكون تاريخ الرنوج مثل تاريخ البراهمة ، وهل تمبكتو مثل دلهى أو شنغهاى ؟

يملاً ناجى عينيه من الفضاء الواسع كأنما يبحث عن سبيل للحرية . تمشى عيناها على الجوز واللوز والعنق والهيل دون أى تأثر . يستمع للبانج الصغير الذى يحدث نور الصباح زوجته وشادية زوجة سمير .

- هذه كالكو إسرائيلية . استيراد إسرائيلى . لطيفه ورخصة .
- لكنى لا أريد أى بضاعة إسرائيلية .
- إذن إليك بهذه الكالكو التى هى من استيراد نابلس . أما والله لا أحب إسرائيلى .. أنا فلسطينى .

تنتسم نور الصباح وشادية وتبدآن في الشراء ، شيء ما يجعل ناجي يبرح إلى الحلف قليلاً ليرى صفاً طويلاً من أذرع النساء الممدودة إلى الصائغ في حركة لا تقطع . أذرع بيضاء وممرات . السمراء أكثر من أثر البحر . بهتز الأساور والعرايش حول المعاصم الرقيقة . يظهر تحتها الخط الأبيض ، الأكثر بوضاً من الثلج . هذه سيده لم تنزل إلى البحر كثيراً . هذه لم تنزل بعد . كل هاته النسوة ينزلن إلى الماء ، كل هاته النسوة لا يخلعن ثيابهن على الشاطئ ، ينزلن بالحيز والبلوزات القاتمة . لم تعد الشواطيء ملاعب حسن وجمال . لم يبق إلا أن ينزلن بالنقاب . يفكر ناجي . تطلب منه زوجته أن يحسب معها قيمة مشروعاتها .. تكتشف أنها أكثر مما ينبغي . تعيد بعض الأشياء منها كيس الكاكو الذي هو من سترد نيلس . كذلك تفعل شادية . بتأمل البائع ما تعيده . ينتسم ولا يعق .

\* \* \*

## الفتاة الفلسطينية

لم يفكر ناجي من إذا كان عنده إدراكه للأيام سيبتدئ إلى هذا أيضاً .. وهو الآن لا يعرف ما إذا كان اليوم هو الخامس أو السادس للرحلة . الأمر لا يتعلق بتقاييه الأيام في الصيف ، ولا لأنه لا يقرأ الصحف اليومية التي يحرص سمر على شرائها . هي عادة تأصلت فيه منذ سنين ، وهو لا يذكر اليوم الذي بدأ فيه يسى . اليقين الحقيقي عنده . هو أنه سيمر يوم لجمعه فقط من سائر الأيام .

في هذا اليوم من كل أسبوع تنطلق مكبرات الصوت من الجوامع التي في إمبابه كلها ، وفي وقت واحد ، تشتتم في السماء واليهود والصاري ، ولا تفتح محاولاته إغلاق المواضع في حجر الصوت عنه . لا يدرى ناجي لماذا فكر الآن ، وهو يقف في منتصف الشارع ، أن يعرف في أي يوم للرحلة هو ؟ ..

ليس أمامه من وسيلة إلا استرجاع الرحلة منذ يومها الأول . لكن هذا شيء مضحك . ينتسم . كيف حقاً يفعل ذلك ؟ ثم ماذا يعني في أي يوم هو ؟ قد وصل مع الجميع يوم الجمعة الماضية . لم يسمع في هذا اليوم أصوات ميكروهونات . راح الأتوبيس الكبير ينهب الأرض بعد أن عبر معدي الفردان . سألته زوجته هل هنا كنت تصطاد الدبابات ؟ وهز رأسه بالإيجاب ولم يرد ، بدا أن السائق لا يريد التوقف أبداً ، هكذا تمتم بعض الركاب ممن أرادوا التوقف لصلاة الجمعة ، وسكنوا بمرعة حين أتركوا أن على السائق أن يصل بهم إلى العريش ثم يعود في نفس اليوم بالعرج السابق من موظفي الشركة .

لقد وصلوا ورأوا الشاطئ الذي يبدو في نشرات الأخبار ساحر اتجمال ، فراحات الأعناق تشرب إلى أعذق البلح على السخيل العالي . لا يزال البلح أخضر ...

في نفس اليوم اشتكى الأطفال من قنديل البحر التي لا يرونها . في نفس اليوم في السماء ، وبينما نور الصباح وشادية تجلسان على الشاطئ ترافقان الأطفال ، كان هو وسمر قد توغلا قليلاً في الماء .

كان البحر دافئاً ، الموج يهدده على بساط مخملي ، إحساس بالأمان جعله ينصرف عن متعة الأطفال ، ويتحل في حديث عن جمال الماء والهواء والتعب حتى إن سمر تأمله في غابة الدهشة ، وقال :

— لا أظن أنك ناجى الذى كل منذ ستة أشهر .

— ماذا تقصد ؟

— لقد بدا لى أن حرب الخليج لن تنتهى إلا وأنت ميت أو مجنون .

— أنا نفسى لا أستحق أنه يمكن أن يبعثنى شيء .

— إذن نُظر .

هتف سمير وهو يشير إلى الشاطئ . نظر ناجى ليرى قناة طويلة ترتدى فسائلاً أسود بصف كم ينزل عن ركبتيها قليلاً ، وتقف أمام نور الصباح وشادية . بدا واضحاً أنها تشترك معها فى حديث طيب . رها ممثلة قليلاً ، شعرها لأسود مقروك بحرية خلف ظهرها ، وبان له وجهها من بعيد أبيض مستدير لامعاً كما نلمع ذراعها وربلتا ساقيها . كانت أيضاً حافية ، وعلى الفستان الأسود رسوم خضراء وحمراء وصغراء باهرة . رأى نور الصباح تشير إليه ، والقناة تلتفت تتابع الإشارة وتبتسم ثم تمضى سائرة على مهل فوق الرمال القريبة من نهايات الموج ، الرمال المبتلة دائماً ، ونهر ذراعيها للأمام والخلف فى توفيق هادئ ، سعيدة منتشية رائقة تحب العالم وتشعر أنه خلق من أجلها وحدها .. هكذا خيل إليه بدقة .

لكن هذا لا يكفى ليعرف فى أى يوم هو . الحقيقة أنه لم يعد يرغب فى ذلك الآن . ليس له أى معنى . سيتعرف موعد عودتهم للقاهرة حين تستعد نور لصباح لذلك . تكن شكل القناة يعود إليه بقوة . تكرر ظهورها كل يوم بعد ذلك ، فى نفس الوقت تقريباً ، حينما تمتد الشمس ، ويتورس الأفق ، وتشتعل السماء فوق التحيل الذى يتعالي أكثر لاشتداد الريح ، ويظهر عند جهة الأفق سحب رمادية قادمة من تحت الماء ، وماء البحر يرداد دفناً واربعةً وحصراراً ، والأولاد لا يريدون الخروج منه ، تظهر هى بمسائها الأسود المطرز والموشى والتمحنى بالأتوان الباهرة ،

ونمشى على مهل فوق الرمال المبتلة اللينة كمهرة وثقة . صدر بحب ظهورها هذا كل مساء . الشاطئ دائماً حال ، قليل رواده ، لذلك يحلق قلبه بهذا الحمل المبالغ الصغير . قرر أن يسأل نور الصباح عنه فى اليوم الذى لزوجته ، وقيل ظهورها بوقت قصير ، لكنه فوجئ بنور الصباح تسأله :

— هل رأيت القناة اتى وقتت تكلمنى أنا وشادية أمس ؟

— نعم . لقد وقتت نتكلم معكما فترة طويلة .

— إنها فلسطينية . من غزة جاءت تمضى أسبوعاً فى العريش . ثم تصدق أن لدينا أبناء يحملون أسماء زياد وزياد ووالل ، لقد سعدت جداً بذلك .

— يبدو أنها تلعب فى الرابعة عشرة .

— عجيب . لقد بدت لى وأنا فى الماء أكبر من ذلك .

— إنها ساذجة للغاية . لقد قطعت الشاطئ أكثر من مرة تبحث عن أصدقائها الذين اختفوا فجأة . قالت فى استسلام إنها ستنتظرهم فلا بد أن يعودوا إليها .

تردد ناجى قليلاً ثم قال :

— لكنى رأيتك تشيرين إليها ناحية الماء .

— طلبت منى أن أريها زياد وإياد ووائل فأشرت إليهم ، لقد نظرت إليهم فى غيبة الفرح .

— رأيتها وهى تنظر إليهم . كانت سعيدة بحق .

قال ملهى ذلك وسكت . كان فى حجه إلى الابتعاد قليلاً عن نور الصباح لينتسم فلا يراه أحد . كيف حق فكر أن القناة كانت تنظر إليه ؟

\* \* \*

## الطريق

الطريق المسطت يا جماعة الذي بين ملكي الحدود طريق حديث  
أنتم بعد حادثة سليمان خاطر .

بسمعون مسئول الرحلة يقول ذلك ، والميكروباص يبدأ في الحركة  
تاركاً الشارع الذي زاروه في رفع .

كان ناجي قد جلس جوار أحد المشاركين في الرحلة هذه المرة .  
الصدفة دعته إلى ذلك . رأى زوجته قد جلست مع خديجة في مقعد واحد  
فلم يشأ إزعاج صديقة زوجته . الآن يفكر فيما هدف به مسئول الرحلة .  
يريد أن يسأله هل يكفي هذا الشارع اتصيق ليحجر الرصاص إذا انطلق  
من أي جهة ؟ بدت له معلومات مسئول الرحلة خاطئة ، وفكر في  
جنوده لو كانت صحيحة . لا شيء . الحق عبث والباطل أيضاً .

الأولاد يأخذون في التصفيق . ينظرون ليجد زيادة بقودهم . ينطلقون  
في الغناء . « يا أم الشعور الذهب والقلب من فضة » يرى معه الفصاء  
تتسع حولهم ، الشمس الذهبية ترتفع ، والطريق غير الممهّد جيداً يجبر  
السائق على البطء فتبدو لحظة وقد حملتهم حملاً رقيقاً زهياً ترتفع  
وتتخفض بهم كموجة حابية . لكن الطريق يصيق فجأة ، والسائق يحذرهم  
من إخراج زموسهم أو أيهم من الثوافة ، إذ ستفانهم أشجار كثيفة  
نصطدم بجو سب العربة ...

لقد جرب نحى الشوك منذ قليل . بعد أن اشترت زوجته ما تريد  
تركها ومشى يتلصص على مكان به دورة مياه . نزل من باب بين  
كبير ، فوجد بعض إلى بيت به نساء وأطفال وزجال حاليون ، فارتك

جداً ، وعاد مصرعاً دون أن يسأل عن شيء . رفع بصره إلى مصده الشارع  
ليرى متدنة على ناصيته . مشى إلى الجامع بسرعة . عبر باب السور  
المحيط به ليقيم رائحة طيارة منعشة . شجرة ليمون طويلة باسقة ،  
خضراء لامعة الخضرة بفعل ضوء الشمس الدهر . تنشر على أغصانها  
مئات ومئات من ثمر الليمون الأخضر والأخضر في الأصفر . اجنى  
تحت غصون الشجرة ، وانجه إلى دورة المياه ، وعاد ليقتطف ليمونة .  
أصابته الأشواك الحادة للأغصان . هذه أول مرة يقطف فيها ليمون من  
عني شجرة . لم يكن يدري أن على العصور أشواكاً وبهذه الحدة . كيف  
حقاً يجمعون الليمون ؟؟

قطف بحذر ليمونة أخرى وزاح بشمها . هل ارتكب خطأً لا ؟ .  
هذه الشجرة بالجامع ملك للجميع . شجرة إلهية غرسها بنى لكل الناس من  
زمن قديم . الجوامع بيوت الرحمن ، وليس أرخص من الليمون في  
مصر ، فهو إن لا يسرق ولا يأنم ..

خرج من الجامع فرحاناً يشم الليمون الذي هي يده . رأى الشارع  
أوسع مما هو ، يشعشع فيه النور الأبيض النهار لم يسبق أن رآته  
الأرض . يكثر رجال الأطفال . همس لنفسه . رأى لأطفال يزرعون سكر  
البسات الصيسى الذي اشتروه فيما بينهم ، زياد يمسك بالكيس الكبير ، حوله  
أخواه الأصغر ، وبنت سميح الأصغر أيضاً . يده نه زبد طويلاً جداً  
بينهم ، بدا له نوعاً جميلاً من الآباء .

صعد إلى الميكروباص بقرب الليمون من أنفه . الآن يفعل ذلك .  
ويظهر إلى الأحواس المزروعة التي تنكر هي الطريق بين كتان الرمال  
المزروعة أيضاً حتى لا تتحرك . سناء منطقة صحرارية أو شبه  
صحراوية هي أفصل الأحوال . أمطارها دائرية وإن كانت غزيرة على حد  
اتسول التمثالي الذي يمشي عليه . تتحول هنا أحياناً إلى سيول هجانه

عبيده . ويهطل المطر كأفواه القرب . هذا من الخصرة الدائمة في  
لصريق من العريش إلى رفح والعودة . هنا في السهل الساحلي موارد مياه  
شبهية إلى ، ومياه الأنار للصيف . مياه الأنار تخرج عنبة ، رغم قربها  
من البحر ومن سطح الأرض معاً . البدو يحفرون الرمال حتى المياه ،  
ويزرعون نخيلهم بدلاً من رفع الماء إليه ، بين أشجار النخيل يزرعون  
أشجار الفواكه ، التين والزيتون والعنب ويزرعون الخضار أيضاً في  
ظلال لأشجار . لكثبان الكثيرة يزرعونها بالخروع والزيتون وبعض  
أشجار التفاح . هذه الكثبان تسمى تحتها خزانات المياه الجوفية . كانت هي  
جحيم الإنسان هنا ، وعرف الإنسان كيف يمتطيها . الأحواض التي بينها  
تتكرر كثيراً ، منذ عبور معدية القردان ، وبعد قليل من منطقة قل اللواء  
لمدرج ، لماذا يجبر نفسه هكذا على التسيان ؟ .

في النصف الأول من الطريق تبدو معظم الأحواض خالية من  
الزروع ، نشعت فيها المياه المالحة ، ثم تبخرت بفعل الشمس فتركت  
الملح لأبيض الناصع الذي يجمعه عدد قليل من العمال في أكياس سوداء  
بلاستيكية . بعد نصف الطريق ، حين يتعدون بما يكفي عن سباحات  
البحيرات تظهر الأحواض مملوءة بأشجار لا يعرف أحد أعمارها . نخيل  
ولوز وزيتون وخوخ وعلى سفوح التلال الرملية القريبة أيضاً ، وأحياناً  
ثل وخروع . تحت السفوح أكشاك من التلك صغيرة أو خيام من وبر .  
وعلى مسافات متباعدة أبار صنعتها القوافل المسلحة ، وأيضاً بقيايا  
حروب . نباتات محروقة ، ومذافع مرمقة ، وسيارات مفككة مدمرة ،  
ولا بد أن تحت الجميع عطشاً . هل يستطيع مقاومة ما يريد أن يمتك في  
روحه من عذاب جميل ؟ هل سينجح هذه المرة ؟ لماذا لا يريد الاستجابة  
سواءً لقلب ؟ منذ اللحظة التي وقف فيها على شاطئ القتال يشم رائحة  
نهبه مسطراً عودة العنارة لنقلهم إلى الساحل الشرقي ووجد رائحة  
لهواء لم تعبر رعم أنه ليس فوقه بار ولا يخاف ، وهو يقول كل تكرى .  
من عان يكرى لك الآن ؟ وما جدوى الأمر كله ؟

يفكر والأحواض تظهر من جديد أمامه بكثافة لم تحدث من قبل ،  
لا تعود الآلات العسكرية المحروقة تقابلهم . يقربون من « الشيخ رويد » .  
ثماداً حقاً يتصمن برنامج رحلتهم هذه الزيارة للبلدة الصغيرة ؟ يسأل نون  
تمهيد الرجل الذي يجاوره في التفتد هيرد باقتصاب :  
— لا أدري .. ربما هناك سوق آخر ..

ويمكن كمن لا يريد الاشتراك في الحديث . يفكر ناجي كيف حقاً  
لم ير هذا الرجل من قبل إلا يوم الجمعة الماضية ، يوم التحرك من  
اتقاهرة . هل لا يخرج الرجل إلى الشاطئ ؟ لا بد أنه يخرج لكن كل واحد  
يحترق لنفسه دائماً مكاناً بعيداً عن الآخر .

قبل الصعود إلى الميكروباس رأى ناجي الرجل في وضع مربك .  
ربما كانت نظرات ناجي إليه هي سبب رتباكه . لذلك فضل ناجي أن  
يمسك ، لا معنى لفتح حوار من أي نوع مع الرجل . راح ينظر إلى  
الطريق . إلى النخيل المتزايد بكثرة مذهشة ! ليست صدفة أنه جلس  
جواره إذن ، لقد تعد ذلك ...

لم ير ناجي من قبل نخيلاً ارتفعت الرمال أحياناً إلى حد ثمره من  
البلح إلا هنا في صحراء سيناء . البلح دائم فوق الرمال . يعرف أنهم  
يحفرون حتى سطح الماء ثم يزرعون النخيل . لكن لا بد أن حركة الرمال  
هنا قسوة جداً . نحيل عجب ، من العريش يتساقط البلح أخضر وتدرسه  
الأقدام . تجمعهم الفتيات الصغيرات الفقيرات غذاء للحيوان والطيور . كثير  
من نخل العريش فارغة أعقابها من فوط تساقط الثمر . لا بد أن الرطوبة  
هي سبب تساقط التلح مبكراً . رطوبة الشاطئ عالية النخيل على  
الشاطئ رائع لكن لا يعنى به أحد . نحيل إلهي زرعه الملائكة في زمن  
قديم . يا الله : كيف حقاً وأنت مريم العذراء القوه لتهرب جدد النحه فيسقط  
عليها أثر ط الحى وهي تفسد معنه ؟ لا بد أن له سحر لها

الريح فلا قدرة لامرأة على هز حلة لها كل هذا للجذع. التخليل شجر كرمه الله في القرآن. (كانهم أعجاز نخيل خاوية) و(ونخل طلوعها هضيم) و(والنخل باسقات لها طلع نضيد) أين قرأ هذا الكلام وفي أي كتاب. صفحات الورق القديم تبعث أمام عيبي. مذكرات الجندي التي لم تكتمل، ولم يعب، هو ناجي، بوعده ينشرها. نرى هل سيري «يحيى» مرة أخرى. لقد نخل الجندي الحرب آخر مرة ولم يعد منها، وهامي حرب جديدة قامت ويحيى لم يزل في البصرة فهل سيرا؟ وهل سيأمله يحيى عن مذكرات صديقه العراقي «سيتي»؟ هذا النخل لا يرحم. أينما يولى وجهه يجد النخل. في الصيف والشتاء أكل ناجي التمر مع اللبن الحامض في شوارع بغداد بغلوس قليلة. في الظل وفي الهجير، وحلاوة «البرحي» الأصفر الصغير الناعم كشفاة الفتيات، كخودهم، لا تفارق فمه، في بغداد، وفي البصرة على شاطئ العشار الصغير وقت الظهر، وهو خارج من سوق الهنود تطارده الرائحة القديمة للتوابل والعطور، متخيلاً أنه يرى سنباد داخلًا بسفينته من شط العرب. لماذا لا يترك ناجي دمه ولو وحيدة تهرب من عينيه. لعل ذلك سبب الضيق الذي كثيراً ما يمسك بنصه محاصراً به.. فلتفتح إذن قنوات العذاب الزهيفة فلا ينفجر. لقد كان هناك، في البصرة، في مايو العام الماضي. كانت البصرة لا تزال مهجمة، مؤها لا يزال أجاباً، شوارعها محفورة بالقنابل وأنها حافة أو راحة والخوف من الكوليرا يملأ الفصاء. لم تدمش قلة الناس في الشوارع وخنو المركز التجاري للمدينة رغم مرور عام على تحرير الفاو. لم يعد شارع الثورة يكتظ بالمصريين كما كان منذ أعوام. بدا له أن الثواب المصري الوحيد «يحيى» الذي بقي في الشارع في سنى الحرب الأخيرتين، والذي التقى به مع نهاية الحرب في العام السابق، يريد أن يقول شيئاً. الفندق لا يزال حالياً من العمال، وصاحبه الذي تركه وسافر إلى الموصل حيث موطنه الأصلي لم يعد بعد، لقد استشهد ولده في الحرب، في الجيوب،

في معركة بحيرة الأسماء الشهيرة قرب البصرة، ولا يظن «يحيى» أنه مبعود مرة أخرى. ربما يبيع العنق وهو هناك في الشمال. وسأل ناجي يحيى ما إذا كان يحب أن يحمله رسالة إلى أنه كف فعل انعم الماضي.. أجاب «يحيى»:

- العام الماضي لم أحملك رسائل لأحد. لقد سألتني حقاً عن رسائل لكنني لم أحملك أي رسالة.
- معك حق.. لكنني أراك تريد الحديث.
- أحببت أن أسألك عن مذكرات «ميتي» هل ستنشرها حقاً؟

كان مؤدياً للعالية، فالمذكرات مع ناجي منذ عام. وعده بذلك ناجي مرة أخرى، وها هو عام آخر يمضي ولم ينشرها. ربما لا ينشرها أبداً لأن أخبار يحيى ستقطع إلى الأبد.. ولن يسافر هو إلى العراق، ربما يفضي ما بقي من العمر قبل أن يرى البصرة مرة ثانية، ويحيى إما قتلته الحرب الأخيرة، أو عاد إلى الأمكنة، ولم يعد يرغب في شيء إلا انسيان بعد كل ما رأى من هول... ولا يزال النخل في الطريق يحاصره. آخر مرة رأى نخل البصرة كانت آلاف وآلاف منه ودفعة جدوعاً دور رءوس، من البصرة حتى رأس لبشة آخر نقطة في مثلث الفار، فهل أتت الطائرات الأمريكية الجدوع التي وقعت دون أصحابها في الحرب التي دارت بين إيران والعراق؟ أم بها لطائرات الأمريكية، عجبت هذه المرة جدوع النخل بالطين برءوس تعدد الذين عادوا بعد تحرير الفو؟..

نكهة يريد أن يسعد عن كل ذكرى البصرة، كان عليه أن يترك نفضة بيده وبين أصدقائه في بغداد والبصرة، منذ اليوم الذي أهدت فيه «سنري»؟ هل كان اسمها كذلك حقاً؟... لم يعد يحكر. نكهة يتذكر حيناً كيف أتت إليه في فندق المنصور منها سدى إعادتها بهدى نصصه،

## الحوار على المقعد

- تعرف أنها رحلة محيية جداً .
- يقول جاره في المقعد فجأة . لم يبد أنه يستكمل الكلام الذي در بينهم مند قليل وانتهى بسرعة . يندو ، مثل ناجي ، عائداً من شطحة طويلة . يقول ناجي :
- تكفنا سنرى الشيخ زويد بعد قليل .
- يرد الجار بسرعة .
- وماذا تظننا سنرى ؟ شيء أصرط بالتأكد ، أخرى أيضاً إن شئت ..
- لا يفهم ناجي سر هذه اللغة السوقية لجاره الذي بدا متضيقاً بشكل حقيقي . ربما يحدث ذلك بسبب صيق المقعد ، أو لأن الشمس في لعودة الآن أحمر وتضرب النافذة من ناحية الجار . لكن هذا غير كاف . يتذكر ما حدث مند قليل ، وهو يقف مع زوجته أمام البائع ، حين أممك برجاجة صغيرة ليس عليها أية بيانات تشير إلى ما بداخلها .
- ما هذا ؟ ...
- سأل البائع الذي ردد بصره بينه وبين زوجته سمير ، وهذا الشخص الذي يجلس جواره الآن . أجل . كن قريباً جد . وقال البائع في شبه همس :
- أشياء رجالية .
- بدا البئع خجولاً . على وجهه رجاء حفي لدجي أن يفهمه بسرعة .
- ند هذا كمس يرتكب إثم .

كعب اخفت بعد أول لقاء على غداء . لقد عمدت في اللقاء الأحلام إلا أنه لمح نظرة رعب مفاجئ في عينيها . كانت نحمق في منصدة بعيدة . عليه رجال لم يره في العسق من قبل ، ولم يره بعد ذلك . نعماً كم لم يرها .. كيف لم ينتبه إلى أي معنى لما حدث إلا متأخراً جداً ؟ .. بعد أن سقطت صور رينج كثيرة على بغداد ، بعد أن تم ضرب البصرة من البحر والبحر والجو والشرق والغرب والشمال والجنوب . كانوا يحولون اختراق لكرة لأرضية من البصرة لابد ، فهل بقي شيء من التخييل الآن ؟ . يحتاج التخييل إلى جهد ومثقة وهواء جاب . لعل ذلك هو سبب سقوط النخلة الكبيرة بين الشاليهات على الشاطئ أمس . نزاحم عليها الصبية ولبنات الفقراء من البدو ممن يدورون على الشاليهات يسألون عن بقايا طعام لحيو نائهم وطيورهم ، وربما لهم أيضاً . صبية وبنات وأطفال بيصر وشقر ودور عيون منونة جميلة ، أطفال كالنمي سحبهم أقرب إلى سحبات أهل الشام ، راحوا يصنعون الأعناق نفسها من الجذع ، بعد أن جمعوا البلع الأخضر انساقط منها .

كان جذع النخلة طويلاً أسود ضخماً تمتد في النهاية وحيداً مقولاً بقوة حربية . مدت عن ناجي آهة أمس ، ساعة رأى المنظر المهييب . إلى هذا الحد شاح التحيل ، ومن الذي أودى به إلى هذا الحال ؟ ..

\* \* \*

أعاد ناجي الزحاجة إلى مكانها . لاحظ أن الرجل الذي يجلس جوار  
لأس ، والذي كان قريباً منهم ، لم ينزحزح .

ترك ناجي المكان ومعه نور الصباح وشادية ، اللتان انفصلتا عنه  
ودخلتا نكداً آخر ، بينما وقف هو وسط الشارع ، وبطريقة خبيثة تصنع  
حلاتها أنه ينطعم إلى الشمس التي تملأ في الفضاء ، اختلس النظر إلى  
البائع الذي راه وسلم « زحاجة » إلى هذا الرجل وبسلم ثمنها . رأى  
الرجل يضعها بسرعة في جيب قميصه . لا بد أن الرجل راه أيضاً وهو  
ينظر إليه ، لا بد أن ذلك هو سبب ارتبائه ذلك الوقت ، وربما لذلك يحدثه  
بهذه الطريقة السوفية . وفاجأه الرجل قائلاً :

— هل تعرف أن جميع الركاب اشترىوا الكريم .

إن كل ما فكر فيه ناجي صحيح .

— إلى هذه الدرجة هو مطلوب ؟

— قال لي البائع إن كل الرجال في اتراحلات السابقة أيضاً اشترىوه .

يتسم ناجي ويقول :

— هل تعلم أن كل الرجال يرون الزحاجات كل مرة ؟

ويجب الرجل بثقة :

— يكفي أن يعرف واحد فيشترى التحبر .

يسكت ناجي قليلاً ويقول :

— أيضاً لشتريت .

لا يعرف ناجي لماذا يكتب ، ولا يفهم أي معنى لما قلته الآن .  
ربما أن لا يشعر لرحل بالحرر . لكن هذا أيضاً أمر مشكوك  
فيه . لعجب أن الرجل يرد عليه قائلاً :

— رأيتك تمرى فاستمعت .

ودخلوا لناجي المخزية بالرجل فيسماعل :

— حقاً ؟

يجيب الرجل على نحو مباعد :

— حقاً .. والأهم أنني رأيت النساء أيضاً يشترين . عدد كبير من النساء  
اللاتي معنا في الرحلة اشترينه مع أنه كريم رجالي كما تعرف .

لا يجد ناجي شيئاً أقل من العيون يفكر أنه قد مس الرجل . لا يشاء  
النظر إليه . يفكر أنه قد يرتكب جريمة بعد قليل . يفكر أن ينسحب بعيداً  
عنه في منزله . لكن المقاعد ممتلئة والأطفال نيام في مجملهم ، و « إياد »  
الصغير ، أصغر الجميع ، ينتم له ، كأنه كان كل هذا الوقت ينظر إليه  
منتظراً التلغته لينتسم .

\*\*\*

## الأصداف

أصداف ومحار وهيكل القواقع الصغيرة . أشكال هندسية غريبة  
دات احباءات اسبابية . تداخل في الأنوار وانتقالات هائلة من لون إلى  
لون عبر ظلال وأمواج مذهشة ..

الواحد من الصبية يجد الصدفة أو المحارة الكبيرة شيئاً ما ، يهتف  
« نقيها » ويحزى إلى النشاط بينه زملاءه كملبور معروعة ، ينسمرون  
حوله فجأة حين يقف محاصراً منهم ، يصيح الصغار على أنه يسمع من  
داخلها وشيئ البحر . « اسمع » ، يصعها صاحكاً على أن الآخر الذي  
يرهف اسمع ويفتح عينيه على اتساعهما ، ويصيح أيضاً معه لرحل  
بالصوت الممحور . إياد الصغير لا يفعل ذلك . لا ينتقل من مكانه خلف

حد . بحسب في الماء بالقرب من الشاطئ . يكفي أن يرفع وجهه ناحية لأطفال والصبية الأكثر ويسم . يعود إلى جمع الأصداف الصغيرة ، وقشور المحار . يصعد بها إلى الشاطئ يضعها فوق الرمال الحافة . بعد حر بقطه . يصور أن الموج يصل إليها . يعود ويجلس مكانه يعلو جمع تجوده بهاب الأمواج يداعها بعينه حتى إذا انتهت قبل النقطة التي وضع فيها محارده ، يسلم وعاد إلى العمل . ينهض من جديد مصيافاً إلى ما جمعه أصداً أخرى ويعود . تأتي الموجة هذه المرة أكبر وأقوى تقلبه على جانبه ، وتسقط ما في يده ثم تصعد إلى الشاطئ تغطي ما تركه هناك ، وتسحب وتعود به إلى الماء . يكون هو قد اعتدّن ووقف . « يخرّب بيت البحر » . يقول بصوت غير مسموع ، يسلم ويحس من جديد يجمع الأصداف والمحار ذات الألوان البديعة أتباهرة انتهى يشف عنها الماء الخفيف عند نهاية اتبحر وبداية الشاطئ .

\* \* \*

## البحر والموج

بالليل بعد أن يحنو الشاطئ من الناس ، ويرتفع المد بعضني مصفه ، يكاد يصل أحداً إلى النصف الأول من الشاليهات ، يرى ناجي أعمدة نور دُزى يمشي على الماء ، يبدو تترحل على جليد في فرح كوني رقيق . من أعمدة النور تخرج بيارق بيضاء ترفرف في انفضاء معاصاة بلونو وهاء . تتعاقب للبريق أمام عينيه وينظر حونه فلا يجد إلا الضلام شمل كل شيء حتى لندم !

— هل ترى ما أراه فوق الماء ؟

سأل سمير الذي كان يسهر إلى حوار أول أمس .

— أجل . إنها قوارب المراقبة الليلية . حراس الشواطئ . دوريت تجوب البحر بحثاً عن المهربين للحشيش والمنسولين أيضاً .. مكنت ناجي . لم يعلق . دخل في صمت بقية الليل .

للموج هنا لون وطعم ورائحة . للماء بعض النمل الذي يجعله يختلف عن الماء في مرمى مطروح رغم أن لبحر واحد . ذلك البحر القديم الذي يتوسط الدنيا القديمة والحديثة أيضاً . في مرمى مطروح الماء أخف والترمال أكثر بياضاً ونعومة . في العام الماضي زار مرسى مطروح لأول مرة بعد أن كان رآها كثيراً في طفولته . ثم يكن يتذكر منها غير قوارف الأغنام الصغيرة والمعاز وقطار المياه وخروج الناس إليه . العام الماضي أخذه إحساس مفاجئ اندش له بشدة فهو يعرف أن الناس لا تفكر في الأوطان إلا أيام الحروب ، لا تتذكرها إلا في الخطر .. وهو دون حلق الله يشعر فجأة بأن الوطن جميل ، وأن البلاد طيبة حنون . لكنه للحظة أحس كما لو كان فيلاً يقترب موعد موته فرح يمشي صامتاً في الأدغال علناً إلى موطنه ، معبرته ، خيل إليه أن كل الناس الذين يقابنهم في الطريق عائدين أو ذاهبين إلى مرسى مطروح أفيال تذهب إلى موطنها . ورحام السيارات على الطريق هو لإحساس الناس بأن أيامهم صارت معدودة على هذه الأرض ، ندا يريدون أن يروا كل مكان فيها بسرعة ، فهذه الأرض الشهيرة في التاريخ ، والتي تشغل أقصى الشمال الشرقي من قرة أفريقي ، والتي طمعت فيها الدول في كل زمان ، والتي أسمه مصر ، سوف تفقد جانيبتها . ستندم خدسية الجاذبية لأرضية فيها ، وسيفتنف الناس إلى العضاء العالي في سقوط لم تعرفه البشرية ، وسيمضون ما بقي لهم من أعمار في المجرات العنصرية البعيدة . نجوماً سينحولون أو أقمار . المؤكد أنهم سيمجرون ولن ينزلوا إلى الأرض مرة أخرى ، الأرض نفسها ستفجر خلفهم في حركات كنبوية لم تعرفها العصور الجيولوجية كلها . منظر جبال ويركيز ، ومسملي الوندال بالمتن المصهور ، وسيصبح كل شيء عجزاً شائها ...

لقد توقف ناجي ، عند معابر الحلقاء في العلمين . لعل اقترايه من المعابر هو سبب رزيقة الانعجارية هذه . هنا يرق جندو القرب والشرق معاً . اليونانيون والانجليز والاممزالليون والفرنسيون والهنود والبيورينديون والإيطاليون ، والألمان . كل هذه الدنيا اجتمعت في انشريط الصيق بين شاطئ العلمين ومنخفض القطارة . صحراواتنا كلها حروب فرست عليها . قال نفسه ذلك وأترك وهو يقف أمام المقابر الانجليزية أنه يطلع نفس العمر الذي يلعبه أبوه حين وقف على محطة سكة حديد العلمين قبل وخلال المعركة الرهيبة . الاسكتلنديون النضاء ، خاصوا المعركة بعزفون ناعمين على قربهم وسط الدمار والار والغبار والليل . فجرتهم ألغام ومدافع وطائرات ودبابات روميل . وموتو جمرى لم يكن يتأخر في نومه عن العاشرة ..

هل سيكتب ناجي عن ذلك يوماً ؟ ما جاء به إلى هنا ليس حب الوطن كما سبق وأحس ، ولا هو بالغيل الباحث عن مكان لينام اليوم الأخير . فقط هو رغبة دفينة أن يقف مكان أبيه ولو لحظات قليلة . ترى كيف كان يشعر أبوه أثناء القتال ؟ .. هل يستطيع أن يمسك بشعور أبيه القديم وبين الوقفين الآن نصف قرن ؟ لقد تركه أبوه وانسحب من الدنيا منذ عشرين سنة ، بعد ثلاثين سنة من وقوفه هنا ليحمل له الحكايات العجيبة عن موت الغرباء . كان أبوه يضحك أحياناً وهو يقول له « ما زلت أسمع صوت موسيقى القرب الاسكتلندية .. أي والله » ، لكنه كثيراً ما رآه يمسح دموعه صغيرة تترقرق في عينه تكاد تسقط ويسمعه يقول « لقد مات دميان بين يدي » وهمس له في ضعف وهو مبتعد عن الدنيا « أمي تشير إلى طول الليل . ويعين أيضاً بما يبي . » أي صحبة كانت بين الأب ودميل هذا ؟ . تكن لآب لم ير مبداء . لم يحك لناحي قصة واحدة عنها ، بلجي يعرفها جيداً . عرف حكايتها بسفاهة . ولا يزال يعاوم الرغبة في العذاب لرهب . يظن من جاره أن يفتح النافذة ليدخل الهواء النقي . الهواء

اتغام من البحر الجميل الذي له مياه ثقيلة هنا ، ومياه خفيفة هناك ، رغم أن الموجة التي تتكسر هنا ربما كانت هي التي تكسرت من قبل في مرسى مطروح ، وربما تكون تكسرت أمامه هو العام الماضي في شاطئ الأبيص أو كليوباترا أو روميل . كيف يمكن أن يتأكد من ذلك حقاً ؟ . أي مجنون هو ؟ . وهل حقاً عاشت خطط روميل ليطبقها موثى ديان عام ١٩٦٧ ؟ . لقد كان موجوداً في المعركة ولم يكن هناك أحد يحارب أحداً فلماذا الحديث عن روميل دائماً في الصحراء ؟ . قالوا أيضاً إن شارلمكوف قرأ روميل قبل يناير الماضي ، ولم تكن هناك حرب برية على الإطلاق ، كان هناك جنود يستسلمون بالآلاف ، وجنود تعصدهم الطائرات والدبابات بالآلاف أيضاً . تعب الجنود من حرب طويلة ، تعب الجنود من حروب بلا طائل . تعب الجنود من الخطط الأمريكية لاستدراجهم كل حين إلى مصائد القتل المماني . لماذا لم يفهم أحد أبداً من التسلسلة معنى تعب الجنود ؟ ..

الماء واحد والأرض تختلف . في مرسى مطروح رأى ناجي الرمل تحت قدميه تحت الماء ، وهنا رأى الأصداف الجميلة الملونة . في البندين حملته الموح دافعاً بالنهار ، وبالليل حمل له أولياء الله بجرون نوراً كاملاً زافعير البارق المصينة . أجل . ما يراه من دور سارح أولياء الله ولا أقل . إلى أين أنتم داهيون أيها الأقطاب وأنتم توغلون في الظلمة المجهولة ؟ . هل ستموتون في المصالح ولو مرة ؟ . في الصباح تقذف الأمواج بقناديل البحر . دائماً قناديل البحر . ربما تبدأ في ذلك بعد أن ينصف الليل . في الصباح تكون قد قذفت بأعداد كبيرة رخوة مطواعة بلا حيلة ، ولا معنى لكل هذا الفرع الذي تسببه للمصطاهين .

\*\*\*

## القناديل

الأطفال فزع وبهجة . الكبار يتراجعون بحيث لا يبدو أن ثمة خوف من شيء ، لكنهم حريصون أن يكونوا يعيدون بدرجة كافية عن القنديل ، ومعاجات الموجة القادمة التي ستحملة من مكانه بعد قليل . الأطفال يقفزون فوق الموج . يتراجعون في دائرة ما تلبث أن تنبج كلما تحرك القنديل . الأطفال أيضاً مستعدون للتراجع لكنهم والدهشة تطل من صيولهم ، لا يبدو عليهم أنهم سيتراجعون لو اقترب القنديل منهم .

جرى النهار في الفضاء وعلى الأرض منذ ساعات ، ولم تكن وسطنا لتظهير بعد ، ولون القنديل تحت الماء سماوي ، أزرق فاتح ، رائع بحق وخاطف للعين . والقنديل ذو الحجم الصغير ، حتى الآن ، معلق بين السطح وقاع البحر ، إلى السطح أقرب ، ولونه البهيج سينفجر بعد قليل حين يخرج الأطفال ، سيصبح أبيض شامعاً جيلاتينياً مطلقاً .

الدائرة حول القنديل تتسع . تزل معه قنديل آخر . اثنان . ثلاثة . اثنان فقط . الثالث كيس من البلاستيك . ها . ها . ها . هات العصا . أخرج هات الشبكة . كل واحد يشوف له عصا أحسن . لا أحد يمسك القنديل بيده . سيحرقه .

— لا يـ كابتن . ممكن جداً أن تمسكه بيديك .

زياد يقول ذلك لواحد من المنجمين حول القنديل .

— لكنه سام .

— أعرف . المهم أن نحمله من ظهره فلا يطولك منه . الحقيقة هو ليس ساماً ، هو يفرز مادة هارفة .

تابع ناجي الحوار بين زياد وبين جواد زوج خديجة ، ثم تابع زياد وهو يتقدم ناحية القنديل . أحسن به يمشي على أظافره .

— رمان .

هتف ناجي .

— لا تحف يا بابا .

الموج يصير هدناً فجأة كأنما يتوقف هو أيضاً . خف صوته ولديها كلها خفت جلدها . الماء ارتفع قبلاً والجميع أحسوا به دفناً على غير العادة في هذا الوقت من كل يوم . كل شيء يبدو في حالة سطر . هكذا خيل لناجي وهو يتبع زياد بعينيه ويراه يميل إلى الخلف ليتمر القنديل الذي يحمله الموج من أمامه دون أن يلمسه . ارتفع زياد وهو يمد قامته فصار أرفع وأطول وهو يتراجع بحكمة ليتمر القنديل الذي حفى بانتباه الموجة ثم .. ها هو . ها هو . ترتفع للصباحات ويبدأ التمرد في الماء تزل أكثر ، فجأة ، قيل أن تأتي موجة ثانية ، هوب ، ترتفع اليد حاملة القنديل إلى أعنى مقرباً على ظهره .

لقد لمس زياد ظهر القنديل ومال به وحمله في حركة واحدة سريعة لم يحدعه فيها انكسار الصوت ، واختلاف موقع القنديل الحقيقي في الماء عن ما ينولهم . هل تتركك على ذلك من قبل ؟ كيف لم يعرف ناجي ذلك عنه ؟ لقد صرخ الوند رفعا ذراعه إلى أقصى مدى ، وأخرج حملاً القنديل على يده ، وخلفه رتل من الأطفال والنسبة يهتفون . القنديل . القنديل . القنديل ...

نحس جواد زوج خديجة وقال لابنه أن يخرج يحفر مقبرة للقناديل التي سيصطادونها اليوم . الأضال جميعاً انهمكوا في حفر مقبرة كبيرة بقوة وهممة وشراسة . كانت انفساء ذلك الوقت قريبة من الرجال ، رهن ناجي وفكر أنه ثم يبق إلا أن يربطوهن معهم بالمثل .

لم تكن امرأة التي حدثته عنها نور الصباح قد ظهرت بعد فهي تأتي عدة بعد الظهر ، ولم يكن زوجها موحواً أصلاً ، فهو لا يأتي ، لا معها

ليقف خلفها ، أو أمامها ، في الماء ، جاعلاً من نفسه مقياساً للحياة أو الموت ، فلا تتجاوزده .

هذه أول مرة يرى فيها ناجي قنديل البحر ، هو الذي عاش في الاسكندرية وطالما سمع عنها . لكنه رآها أكثر من مرة في برنامج تليفزيوني . كائنات رخوة هلامية . يعرف ذلك . ويعرف أن مجلس المدينة هنا يُخرج دوريات من الصيادين محملين بالحرايب لمزريق القناديل قبل وصولها إلى الشاطئ . لكن لا يبدو أن القناديل التي يصطادها الأطفال بكثرة ، وشجاعة الأر ، وبأيديهم ، مطعونة بالحرايب . لفت ضربها شيء آخر . على الموج يصبه فالكثير منها يأتي سليم البيل .

\*\*\*

## الفتاة الفلسطينية

موجة حملته وألقت به قريباً من الشاطئ . لم يكن وحده . الموجة العظيمة الطاغية جعلته يتقلب تحت الماء أكثر من مرة ، ثم تمدت على الرمل الحش والأصداف ، ذراعه مفرودة إلى نهايتها حتى كاد كنفه ينخلع ... نهض ، فوجد نفسه يدور بعينيه يبحث عن « نور الصباح » التي كانت يدها في يده قبل الموجة . رآها قرب الشاطئ تسعل بقوة وتتجه إلى الخروج . لم تغطس إليه . لم تبحث عنه ولم تنظر إلى الماء . أفتقتها الموجة بعض الوعي إذن .

لمح ياد يجمع لأصداف متوحداً ووحيداً معها قرب الشاطئ ، وائل مع عدد من الأطفال يدفون قديلاً . يريد يوغن في المساحة في الماء ، والفتاة الفلسطينية تقترب ضاحكة حيث جلست نور الصباح تحت الشمس . أقصى النهار كله في صيد القناديل لذلك غضب البحر واستمرت غصينه .

وقفت الفتاة الفلسطينية في نفس الجلاب الأسود . أحس ناجي ببس الضوء الناعم ينسث من وجهها وفراعيها وربتلى ساقها . كان شعرها محلولاً خلف ظهرها ، أسود كثيفاً كالعادة . الليل يوشك على الدخول . الأبق خلف الجميع أحمر ، وأمامه رموس السحيل تسبح في نار باخرة . هبت نسمة باردة مفاجئة صألته سمير .

— هل تظنها لا تزال تبحث عن أصدقائها ؟

— لا بد ، تبدو حائرة كما هي في كل مرة .

ابتعد عن سمير سابعاً نحو جواد الذي لا يزال يحاصر القناديل القادمة مع الأطفال . النسمة الباردة تشيع في الفضاء مرة أخرى ، وجه الفتاة الفلسطينية بحمله عبر آلاف الأميل إلى الشمال البعيد حيث تهتز دائماً في الفضاء نسمة باردة . يمشى الأر على شاطئ نهر دجلة في المساء في الموصل يرى القلاع القديمة ، التي تعطى المكان رائحة مقنسة ، ويأخذه البرد إلى الإحساس المدهش بطعم الاسكندرية . ذلك انبرد المحتمل الجميل المنعش لخلايا الروح باعث الدم في الشرايين ؟ يردد إحساسه بالاسكندرية وهو يمشى في سوق الموصل ، بدا له شيئاً قريباً من أسواق العطارين الشعبية ، وكان مدهشاً أن يجد رواية « اعترافات فني العصر » لألغريد دي موسيه التي ترجمها فيلكس فارس في الاسكندرية منذ نصف قرن . لحظة عجيبة شملته فيها مشاعر مختلفة من الدهشة والراحة والفرح وهو يقف يشترى الرواية من مكتبة النمرود بشارع الحافجي . لكنه فكر هل الدهشة والفرح يحسسان شماليان يشملان كل الناس في الشمال دائماً ؟ ...

الشمال شمال . موسكو لأول مرة . موسكو بعد عشرين سنة من الحلم . فتح باب المطار المفضى إلى الخارج ورأى لمصعة تصوير الثلج في الفضاء حطوطاً منقطعة ومنوارية فأغلق الباب . انقسم لصديقه وقال

« لا بد أن سرح » . لم يكذ يستقر في الفندق ، وبعد أول لقاء مع عدد من المستثمرين في اتحاد الكتاب « الذي رأى في وسط باحته النملال النحيل لنونوسوى يعطيه الحنكند » حتى أعتوه بالذهاب عدأ إلى « كيف » ثم يعود إلى موسكو يراها على مهل .

« كيف » أقل بروده بشر جين أو ثلاث .. لا يزال في الشمال إذن . وطوال رحلة لفطر باتيل ، طر ساهراً بسلر من حلف اتافنة إلى الجليد الذي يغطي لندب . إلى ذلك الليل الأبيض الباهر . لواتي دستوبيهكي لبيضاء .

بالليل ، في « كيف » برل تاركاً فندق التذير الجميل القائم على النهر لذي يحمل اسمه . النهر الذي دارت حوئه معارك كبيرة في الحرب الثانية . متى قليلاً يشرب هواه الشمال بخلاها جسده . يريد أن يعيد رحلة النهر بين شوارع كيف المنحدرة دائماً ، انصاعدة دائماً ، بين اللال .

قرب لفندق مباشرة ، وكأما في انفضره ، كأننا تجلسان في صمت تدحن .. الله خلق نساء الاتحاد السوفيتي واحدة واحدة ثم ترك مهمة خلق نساء العالم إلى مصاعديه من الناس الذين هم أقل قدرة . جمال النساء في جمهوريات الاتحاد السوفيتي الشرقية والعربية يوحد بينهما أكثر ما ترحد لأيدونوجية .

لا يعرف من اللغة الروسية غير خمس كلمات . لا يصرف الأوكريانية . لا تعرفان الإنجليزية ولا العربية بالطبع . قلنا « لاسبينونية » فصار سهلاً عليه التحدث بكلمتين كلتي يعرفها من لروسية .

فسمت له مكاناً جوارهما .. أشار هو إلى الفندق القريب . أشارتا بالرفص . قال « مارتني » ؟! اتسمعت عيوبهما الزرقاء . صعد وحده إلى الفندق وعد برجاجة المازيني ، رسم على علبة السجائر المازليورو

صورة لبنت فقلت « ذات الوجه البريء » « بابا .. مما » وقالت للأخرى وهي تشير إلى الرسم « يوم » .... كلمة « بيت » أسهل كلمة في العالم . قال في نفسه . تماماً مثل كلمة « لا » ..

أخذهما الأخرى « ذات الوجه الجريء » إلى تل يدوب الجليد عن بعض سفحه فيكشف مصاحات من الحمرة . صعدوا درجات التل . خمائل من أشجار الكستناء السامعة المنحرفة لأوراق بعض نيرة ، سوداء الجذوع بفعل البرد أيضاً ، نحتها مفعد خشبية يفضيها الجليد . أربعة مقاعد على واحد منها يجلس عاشق أركر يبنى طويل وطويل الشعر ، خلع الشبكة من فوق رأسه ، وأدخل في صدره فدة صغيرة وأحاطها بذرعيه .

على المقعد الأبعد جنسوا بعد أن كسروا الجليد بأحذيتهم . تركهما تشريان المارتيني وانتشقا هو بشربهم واحدة بعد الأخرى في جنون وعلى مهل ..

من أوكرانيا هذه التي يجلس على تل من لال عاصمتها الجميلة وسط الليل تبدأ ضوور السماء مع نهاية التصيف القصير ، ومع نذر انخريف البارد ، تقطع رحلة طويلة ، إلى أفريقب الحرة . وأول ما تتردح قوافل السماء بكور على الشواطي الأفريقية ، في مصر . في المنطقة الممتدة من العريش إلى مرسى مطروح حيث ينتظرها خريف أكثر دفئاً ، وموت محقق منق في شباك الصبايين على الشواطئ .. هـ هو في كيف يسقط في أحضان السماء ، الذي لم يذهب بعد إلى السواحل الأفريقية ؟!

أراد أن يقول للفنتين شيئاً عن رحلة السماء هذه فلم تسعفه الكلمات القليلة التي يعرفها ، لم يكر ممكناً رسم تلك ، كن معه فلم تكنه يحتاج إلى أوراق كثيرة يرسم السماء ويرسم أوكرانيا ويرسم الطريق ويرسم أهرقيا وسواحلها ويرسم أنقر والعز والموت . يا للسمان المسكين . سر أعنى سقط في الشباك التي لا يراها كما يقولون ، إنما هو منعك برنحي

عليها سربح فقلته . هنا في العريش يعمل عند كبير من الناس نصيب  
السم .

رأى عيسى « ذات الوجه البزوي » مثل عيسى « أودرى هيبورن »  
في اسميهما وعمقهما ، وعيسى الأخرى ، « ذات الوجه التجري » مثل  
عيسى « فاجاردنر » صاحبة الدعوة المفتوحة للعجور . ضحكنا وهو  
يخبرهم بذلك وفتت الثانية « أميركا . أميركا » وبدت تحلم ..

تصنف الليل وازدادت كلماته التي يعرفها من الروسية إلى عشر ،  
تعاشق الأوكرانيين لا يكف عن لقيم واقفوجه يعود بين وقت وآخر طلباً  
سيجارة مرلبورو مما اضطره في النهاية إلى إعطائه علبة سجائر كاملة .  
قدموا لتلحق الفنانان بالتروني الأخير هي كيف القائمة .

طلب أر نقايلاه غداً في الساعة الثنية ظهراً ، إذ سيصافى في المساء  
عائداً إلى موسكو ، وعدناه بالحصور ، وأكثر بالصعود إلى الحجرة . في  
الساعة المرتفة ، دق جرس التليفون « هاللو .. هاللو » لا صوت .  
انتظر دقائق . نصف ساعة . ساعة . لم يأت أحد . نزل إلى بهو  
لاستقبال ، سألت موظفي الاستقبال . لم يسأل عنه أحد ، ابتسم وهو يحزم  
حقائبه ليعود إلى موسكو . كيف صدقهما حقاً ؟ ولماذا تأتبان إليه ؟ أي  
شرفي ساذج هو ؟! هل لأنه عاش تحت الاتحاد السوفيتي محبوبه مواطنو  
الاتحاد السوفيتي ؟

\*\*\*

قال له بجرر ، الشاب الذي نعرف عنه في قطار الليل العائد إلى  
موسكو ، إن التل الذي صعد مع الفنانين ، فوقه قصر ثقافة اسمه قصر  
اكتوبر ، وإيهام في أوكرايا سيريلون كل ما له علاقة بأكتوبر ولينين  
والثورة الشيوعية . أوكرايا غنية ولا يمكن أن نطلق منهوية إلى هذا الحد ..

كان إيجور حاسماً وعاصفاً ، هز كتفيه ومطأ شفتيه وباجى يحدثه عن  
حاجة العالم الثالث إلى الاتحاد السوفيتي ، كان يحدث لأجليريه بشكل  
معتول ، وسأل نأحي ما إذا كان يحب أن يزور عزة مشهورة في  
موسكو ؟!

\*\*\*

ترك نجى إيجور قبل الفجر وجلس وحده في طرفة العربيه يتفرج  
على الليالي البضاء . لا يزال يريت الأمامك بالإحساس الشمالي . ذلك  
الإحساس الذي غراه مرة وهو في الموصل ، ويفرؤه منذ وصل إلى هنا  
ويبدو أنه لن يتبع منه . ما أجمل هذا الإحساس عندما يكون الإنسان في  
الجنوب في نفس اللحظة التي يكون فيها في الشمال ، لكن هذه فنة لم  
يعطها الله لأحد بعد ..

صافقه للغاية هواء التكيف الدافئ بالقطار ، تنقل إلى عربة التدخين  
المهجورة التي بلا تكيف ، لكن رائحة السجائر الروسية التي تبعث من  
المكان ، كرائحة الخيش المحروق ، كان من الصعب احتمالها ، فعاد رنم  
الساعات القليلة الباقية ..

\*\*\*

## أرأيتسك

### حكاية :

حزحت « جارية » من عند الرضيت ومعها مروحة مكتوب عليها  
« الجز إلى إيرين أوج من الإير إلى حرين » . عندك موقف ورجل  
يحاولون أن يكونوا دائماً حاملي إيور عنده .

دعاء :

قال رجل من أهل المدينة « اللهم ارزقني إيراً سداً عصب ونجمه  
فصب ولا يصيبه تعب ولا نصب » .

نصيحة :

قال ابن سيرين : « أئد التجماع أفحشه » .

وقال الأحيف : « إن أريدتم الخطوة عند النساء فأفحشوا الجماع  
وأحسنوا لخلق » .

نوازل :

قال أحدهم ينمى حائله : « يمد ولا يشتد وإذا أكرهته يرتد » .

وقال شاعر فأجد :

ينام على كف العانة ونسرة له حركات ما يحس بها الكف  
كما يرفع الفرج ابن يومين رأسه إلى والديه ثم يتركه الضعف

\*\*\*

رصفة من كتاب أحمد بن سفيان الشهير باب كمال بشار رحمه الله :

« بروق أرمني وسبل من كل واحد مثقالان نجف وتسحق ثم يصب  
على المسحوق لبن حليب وعسل ويمزج عليه جيداً حتى يختلط ثم يطلى  
به أو بذلك بنكاً فوق عصى يحرر ، ومثقال من جورب الأبر والظفر وعافر  
فرح وزنجبيل وسين ومسك وخولنجان ويسحق كل على حدة ثم يجمع  
ويحل بالعسل الذي روي فيه الزنجبيل وشقائق ويمسح به عليه ، ومثقال  
من سدر لأريانج المحمص وزنجبيل وعافر فرحاً ودار صيني ونصف  
مثقال من الحنظل ومسك مسك وكافور ومثقال ونصف من كل من  
حور بن فرحم وطكر وطير ومن وكلها تسحق وتخلط بماء القانورج

المرطب حتى يصير في قولم اللطلاء ويضع في إناء زجاج ويعد عشرة  
أيام ويحضض كل يوم ثلاث مرات بعد ذلك يُمسح منه الذكر وبصير  
عليه حتى يجف ويجمع بعدها حتى يحل من الجماع ولا يترك الإناء  
مفتوحاً لئلا يذهب الهواء قوة الدواء ، ومن استعمل ذلك لم نصير عليه  
امرأة في الدنيا إن يغشى عليها من شدة اللذة وهو بإذن الله عجيب .

\*\*\*

حكاية :

يحكي أن مخصناً رأى إيراً كبيراً لرجل كثيف الشعر فأخذ يبكي  
ويقول : « انظروا الخليفة في القطيفة » .

\*\*\*

اتشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا ..

\*\*\*

## الطريق

بسرعة يخرجون من الشارع البعير ... ثماداً حقاً بدا له الشارع  
بميصاً ؟ .. الشارع صغير ، محلاته مفتوحة على الجادين ، مائة حُصر  
وفاكهة موصوعة كيف اتفق ومعظمها غاصد من الحر والاهمال . تنصدر  
الشارع مقهى أمامها نرجيلات فتيمة سوداء ، خلفها رجال كالحو لثياب ،  
مبهوشو اللحى ، بينهم عدد غير قليل من البدو في ثياب بيضاء ، وعلى  
زعوسهم غتر فخمة وعقالات حال لونها .

لقد نخل التمكروياص انشارخ منذ قليل وعنى مهز ، ولعلت على  
حصى المحلات من الداخل المجلات العديدة المونة . نطحت و سهى

لشارع بسرعة فهو قصير ، وانقسمت الدنيا والكون عاد باهر الضوء  
وبهو « راح بحري إني الوجوه عابراً التوافد المفتوحة في فرح . توقف  
السوق وهب مسئول الرحلة « هيا يا احوان ، هنا الصخرة الإسرائيلية  
وشاطني الشيوخ رويد » .

زلوا فعلمهم لهو ، التنبؤ برداد البحر ولا بد أن الجميع انتعشوا .  
لاحظ ناجي لافتة على الشاطي تعلن أن الشاطي خاص لأعضاء نادي  
لشمس بالقاهرة ... ياه ، القاهرة التي كانت قراعت كثيراً من الذاكرة .  
لماذا جاء بهم مسئول الرحلة ليروا هذا الجمال الالهي يحيطه أعضاء نادي  
الشمس بالأنانية ؟ . إذن لن يسمح لهم بالتحول .. هذه الشواطئ الخاصة  
العربية التي انتشرت في كل سواحل مصر .. حرمت ثورة يوليو الباشوات  
من هذه الشواطئ وأعطتها للجيش والبوليس . بعد موت عبد الناصر  
أعطى السادات الباشوات الجدد شواطئ جديدة ولم يتخل الجيش والبوليس  
عن شواطئهم ومنطق نفوذهم . لم يبق للشعب شيء .

يا لله .. يتنفس ناجي الذي لم يتصور قط أنه هنا على بعد عشرات  
الأميال من القاهرة يأتي إنسان ويضع حاجزاً على شاطي رباني ويقول هذا  
ملكى . لا تزال أرض الله رحبة على أي حال . عليهم بالتصعود إني  
لربوة التي فوقها الصخرة الإسرائيلية . ليس هناك أي شيء يفعلونه غير  
هذا ، وهذا هو المكان الوحيد المباح .

— ما حكاية الصخرة هذه ؟ .

سأل ناجي حارس الشاطي البدوي فقال :

— صخرة أحضرها اليهود من النقب وتركوها هنا ، عليها أسماء  
ضيارين سقطوا في البحر . سبعة طيارين .

— لا شيء غير ذلك ؟

— نعم نض سنكون ؟

أحلب البدوي منسماً . وتذكر ناجي أنه في معاهدة كامب ديفيد ، أو  
في ملاحقته . نص على حق إسرائيل في إقامة بعض النصب تحليداً  
لقتلها على أرض سيناء . هز كتفه وظل في مكانه لم يصعد . رأى  
لجميع أعلى الربوة يلتقطون صوراً بحيث تكون الصخرة خلفية لهم مرة ،  
ويكون البحر والأفق خلفية أكثر من مرة .

هز سقط هؤلاء الطيارون السبعة أيام حرب الاستنزاف أم أثناء  
حرب أكتوبر ؟ لم يستطع التحديد ، لم يشعر بصيق من أي نوع على  
خيانة الذاكرة . انبسم في لا مبالاة ... مجرد نصب في مكان شبه مهجور  
معظم العام . راح يعب من هواء البحر ويملاً عينيه بالأفق العريض .

قال له الرجل البدوي الذي رآه لا يزال يقف على جواره ولم يصعد مع  
بقية أعضاء الرحلة :

— هم يأتون لزيارة موتاهم ، ونحن نأتي لتذكرك أننا أسقطناهم  
بالصواريخ . خالصين ..

ضحك البدوي بعد أن أتم كلامه فلمعت أسننه الذهبية تحت الشمس ،  
بدا سعيداً بتفسيره .

انشغل ناجي بالنظر إلى عيني نور الصباح السودوين وهم تلعبان  
في انفضاء الواسع ، وهي قنول قبل غيرها من فوق الربوة . رأى شعرها  
غير المدرج يعطيها صبغة عجزية . بدت له صخرة ربة الوجه بتأثير  
البحر والشمس . اقتربت منه فوسع ذراعه حول كتفها وشدها إلى جانبه  
ومشى هاتفاً صامناً . كنت هي أيضاً صامتة تكاد تغمض عينيها .

من زمان لم يفعل ذلك ، هاهو يشعر بدقات قلبها ودقات قلبه . كم هي  
على حق المرأة التي جاءت مع زوجها منذ عشرين فلم يعودا للقاهرة . كم  
هو محتاج إلى خلاء يبعث الروح من حلاتها .

وأدرك أنه لم ير القمر فوق القاهرة مرة منذ ترك الاسكندرية . لم يرفع وجهه إلى السماء في القاهرة قط . ربما رأى القمر مرة من فوق المقطم . رأى القاهرة تسبح في غلالة من الأراب تخفي معالمها وهو يقف فوقها لرفع ، تلفظاً ، رأسه إلى أعلى ليرى القمر الحميل .

— هل نظرت إلى النقوش على الصخرة ؟

— لم أفهم شيئاً طبعاً ، منظر البحر من أعلى جميل جداً ..

لقد عاد زيد منذ لحظات وسأله باحى فأجاب .. كل السائق يطلق التفجير فرحوا يصعدون إلى الميكروباص . جلس هو للمرة الثانية جوار نفس الرجل الذي بدأ بدوره مهتماً أن يجلس جواره .

ما كاد الميكروباص يخرج من الشارع حتى تساءل باحى لماذا حقاً بدأ له الشارع بغيضاً ؟ لماذا يفتبص صدره ؟ . ترك عيبه تجرير على جانبي الشارع فرأى الرجل مسترخياً كما هم بالمقهى القديم ، والنضاج كما هي مفروشة في فوضى أمام الدكاكين ، واتخصر والفككة يطل منها العطل . كل شيء يبدو مضيئاً هنا . الشارع كله يبدو من بقايا العصور الوسطى أو تكتة قديمة لألثة النسيان ..

\* \* \*

ينظر نجى إلى الأشجار على الجانبين بعد أن خرجوا من الشارع القديم ودخلوا في الطريق التصيق . أشجار ليمون وحوخ ، بامقة راهية المحصرة ، حنظل أرض منظومة للعب والتين والزيون واللوز العتيق . على البعد تتشابه أشجار الزيون والنوز . طوال الطريق أطفال يقعون خلف أقفاص ملأى بالحيار الطرح وتصيح . كيف لم ير ذلك وهم قد هموا إلى الشاطئ مد قليل ؟ . وبصطر المسائق إلى نهضة سرعته كثيراً حتى يكاد يقف . إنه يصيح الطريق لرتل من الأتوبيسات المساحية تغر سبوحاً من إسرائيل في طريقهم إلى الصخرة .

نعود الآن إلى الصحراء إلى الظهور . حيث تظهر الأرض الصحراء يرتفع في الروح الاحساس بالوحشة . الصحراء لفر وجه . هل يتذكر ؟ تعد وراث حب الصحراء منذ طفولته ، لكنه حين جاء إلى أبعد نقطة لها جيب به محمولاً على وجه الصخرة . لم يبق إلا ليل معدودة ، وسعرق فراره الليلي خمسة وعشرين يوماً قطع به الأعراب فيها درباً لا يحزمه غيرهم . أعطاهم سلاحه فأعطوه حياته . نفس القصة المؤلمة التي سمعها وهو صغير في العاشرة إبان العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ عاشها وهو في العشرين عام ١٩٦٧ . في السابعة والتعشرين من عمره اختلف الأمر . عاد إلى الصحراء فبدأ يريد قطع كل مسالكه لكن السبيل قديته إلى رص صيقة . يضع كيلومترات خلف القناة . ذلك تاريخ صار منسياً لأن وهو لا يريد أن يتذكر . خرج من الحرب رصياً عن نفسه وليس أعظم من شعور المحارب بالرضا والفخر . إذا كن السياسة قد تخاذلوا وخدلوه فكل حبة زمل داس عليها في سبيل تعرف أنه بريء من الخذلان ، وتظل الصحراء غير جميلة أبداً . وما قاله شعراؤنا القدامى لم يكن أكثر من يأس مقنع ، وفي أحسن تقدير نوع من الترحيل بالحل . إلى أين حقاً كان يمكنهم الذهاب ؟ . لذلك عبروا البوادي عندما اتسعت البلاد بعد الفتح الإسلامية . اكنفوا بالدروس اللغوية من بدوهم لشهور وسنوات ، وتمعية بناتهم ، بعد ذلك ، وفي أحسن الأحوال ، ببانية . بادية سم منتشرة كثيراً بين بنات العراق . أجمل أسماء البنات تجدها في العراق . بادية وسنمي وبنقيس وشذى . العراق كله صار بادية متروكة لألثة انريج سهر عليها الرمال . صحراء سجداء من بين كل صحراوات العالم لها شأن كبير في هذه الدنيا . تقول الدراسات الحديثة إن الشعب اليهودي لم يعبر سيناء . لم يهبط في الأرض إلى مصر ومن ثم لم يخرج منها . إن اليهود كانوا يعيشون في مستعمرة مصرية حقاً ، مصريم ، لكن مكانهم جوب الجزيرة العربية . بين السعودية واليمن .

هل تستطيع هذه الدراسات التي تبدو مقنعة جداً أن تمحو مئات السنين من الاعتقاد الديني بالخروج ؟ بعضا موسى التي شقت البحر الأحمر ؟ موسى الذي ذهب بناجي ربه من فوق الجبل وعاد ليجد شعبه يعبد الأوثان حلف السامري الشهير لتحل بهم اللعنة فوניהوا أربعين سنة مات خلالها موسى يقودهم تلميذه يوشع وبدق بهم أبواب فلسطين . يا الله . فلسطين دائماً . الطريق إلى فلسطين يبدأ من هنا . أمام هذه الأرض ، وبامتدادها على لساحل ، وفي نفس البحر الذي يهب عليهم منه انهواء كانت السفن العرعونية تحمل خشب الأرز من هيفيا . ومن هذا الطريق خرج الاسكندر إلى العراق ، والرومان كثيراً إلى الشام ، وعلى الشاطئ الضيق الذي يفصل بحيرة الهرديل عن البحر المتوسط حيث يقع جبل كاسيوس قُتل يرمي غدرأ بيد رجال بطليموس الثاني أخي كلوباترا لسابعة أشهر حكام مصر . في نفس المكان بنى هادريان وهو عائد من سوريا معبداً لزيوس تظليداً للكرى يرمي المغفور في حربه مع فيصر ، إلا أن كل الآثار ضاعت الآن ولم يبق إلا القصص . قصة العودة المريعة للجنود عام ١٩٦٧ تؤلمه ، قصة العودة إلى الطريق بعد مفارقات كاتب تيفيد تؤلمه ، لأنها لم تتم بالسرعة التي تركوا بها الطريق أول مرة .

« لكننا ابتعدنا كثيراً عن فلسطين ونحتاج إلى أجنحة جبريل » . يفكر باجي فجأة . يقول لنفسه إن لعنة الفلسطينية التي جاءت إلى انعريش يمكن أن تعود فالطريق مفروح للجميع ! . والطريق الآن يمشي بين حضرة بوشك تغطي لصدره كلها . حضرة صمعتها الطبيعة والمطر . الطريق مرهوق عن لأرض لأكثر من مترين . ويتسمع الآن . إنه جنيد تم إنشؤه بعد السيل لأحير الذي أهلك حلقاً كثيرة وسيارات كثيرة ومررعات أكثر ، وأعطب الطريق التعميم المعبد واضحاً جوار وأسفل الطريق الحديد . به يبدو حراً ، حلعت السيول أسفنه . وملائته بالحفر .

الطريق الحديد تسده من الجاسين الأحجار البيضاء المسببة في شكل منحدر يمنع أصحاب الثمال من تحت الأسفلت فلا يسوح تحت عجلات السيارات ...

كل الطرق القديمة في ميناء لم نعد تصنع . طال الزمن وشبكت الحروب وصعصعتها أنبول . السائق الفرحان يزيد من سرعته فاحداً فسه وصدره للهواء وتظهر إيلات للمرة الثانية .

إيلات .. إيلات .. ترتفع الأصوات من جديد . رأود مد سعة وهم قادمون إلى الشيخ زويد . الآن يرونها وهم عائدون إلى لعريش .

لم يصدق لأحد منهم أن رأى خرائب تاريخية ، لا في أفلام . يرمي التي ماتت بها الأرض وهاج عليها بركان فيروف . أطلاليسم التي ابتشع المحيط . لكنهم سمعوا قصص مدوم وعمورة وبلاد كثيرة هالكة ، ورؤ أفلاماً كثيرة عن اندمر الروميه التي خربها الجيش الهتلري تخريباً غير مدبوق في التاريخ تفوق فيه على أنيلا ملك الهون وجيوشه وجنكيز خان ملك القتلار . ويرون الآن قطعاً ضخمة من لخرسانة . جدران شبه كاملة ساقطة متمسكة فوق الأرض . يبدو لهم ، حقيقة ، أن لإسرائيليين خربو مستعمرتهم بأيديهم وليس بالبلدوزرات أو المتفجرات . يبدو أنهم اندفعوا بأيديهم . بكل قوة التحنق ، نحو الجدران فانبصاعت لهم وتعت . يا الله . أي غيظ يحتاجه الإنسان لتبول فيه لعوة التي تسقط جدراناً بهذا الحجم ؟ جدراناً يبدو من تراكمها أنها بقايا مدينة كاملة وليس مجرد مستعمرة كانوا يعرفون ، أو لديهم يقين بذلك على الأقل ، أنها لن تدوم .

لماذا حقاً لم يتوسعوا في بناء المستعمرة رغم التحلاء المحاسي حولها ؟ . سر هذا في أتبعين اتخفي بالزوال . حبس طف من النقب

على السطح وصار حقيقه أصبح من الصعب التصديق ، فكار الغبط  
لكفى لاسقاط حذر ان بالتكلم !

نكن ناحى بنهر بضوء الشمس الأبيض الذى يكاد يغسل الكون  
ويجعله شديد الظهارة . الأكوام الشائبة لبحارة إيلات تكاد تكون نقطة فى  
بحر الرمال و لحصرة ويمكن جداً أن لا يلحظها المسافرين ، ربما لو تركه  
لإسرائيليين إيلات كان حربها المصريون . يفكر ناحى فجأة . هذه  
مستعمرة محكوم عليها بالهدم الأبدى ، لذلك مثل مشروع إهدى المسحف  
لإعادة بنائها بعد أن تسلمت الإدارة المصرية الجزء الأخير من ميناء .  
فشل المشروع رغم إريكاره على التحدى للشخصية الإسرائيلية التى بثت  
دعاية كبيرة حول إيلات كمستعمرة يفخر بها من بنائها . لا بد أن المصريين  
فكروا فى عبث التحدى . أرض الله واسعة فما معنى بناء مكان هزمه من  
شيده ؟ فليطل محرباً . دليلاً على شخصية من بناء .

حول إيلات امحربة أشجار من التوز والفخيل والزيتون ، على  
الأرض أشواك وصبار وشيح ، ولا يبدو أن أحداً يقترب من المكان  
أو يزل إليه . الصحراء واسعة وما يرويه نقطة فى بحر الرمال ، لذلك  
لم يكرر أحد الحديث عن إيلات ، لم يبد أن لدى أحد كلمة يقولها عنها ،  
وظل المسائق يرمح على الطريق الجديد الجميل الممتد بحيث لا تجرفه  
السيول ...

\* \* \*

## الحوار على المقعد

بتلت ناحى هزى كل الركاب بالنمين أو فى حالة نوم . تلك يحدث  
غائباً فى طريق العودة من الرحلات حتى لو انتهت الرحلة بسرعة  
كرحلتهم اليوم . لكن جاره لم يكن مثل بقية الركاب . راح يشعل سيجارة  
لنفسه ويقدم أخرى لناحى :

— أشكرك . أنا لا أدخن .

— غير معقول !

— ولم لا ؟

— لأنى لمحتك تدخن على الشاطئ مرة .

لم يتوقع ناحى الاشتباك فى هذا الحديث . ولأنه بالفعل لا يدخن ،  
اصطر أن يقول :

— ربما رأيت شخصاً يشبهنى .

يسكت الرجل قليلاً ليقول :

— لا أظن أن معنا أحداً يشبهك .

بدا الرجل يقول ذلك فى أصرار غريب . تتسع عيانه وهو يحملق  
فى ناحى الذى راح بدوره يعاد ويقول :

— لكى بالعمى أفلعت عن التنحين منذ يابر الماضى .

ويطفو صيق حقيقى ممزوج بالدهشة على وجهه . لقد فكر من قبل  
أن لا يستمر فى حديث مع هذا الرجل فما الذى جعله يتدمرج  
للاندفاع فى هذا الحوار غير المفهوم ؟

اتسعت عينا الرجل بالاعجاب وهو يقول :

- ثمانية أشهر الآن بلا تدخين شيء رائع . رائع جداً . لكن كيف حقاً نجحت في ذلك ؟
- اكتشفت أنني أُنحس منذ ربع قرن ولكن للدنيا لم نعد أجمل . بل ربما بزاد سوءاً ..
- يسكتان . يبدو الارتباك على وجه الرجل . يحس ناجي أنه يدخل بالرجل في طريق لم يستعد لها . لكن يبدو أن الرجل قبل التحدى فهو يقول :
- قد يكون معك الحق . لكن الإنسان لا يستطيع أن يربط بين التدخين وحال الدنيا ، ربما يكون ذلك صحيحاً مع حاله هو . هكذا يكون الأمر أكثر واقعية - ثم يخفض الرجل صوته جداً ويقول - حضرتك حالك الآن أسوأ من زمان ؟ .
- تقريباً .
- يرد ناجي على مضض مستمر الرجل .
- لكنني أراك سعيداً على الشاطئ .
- لا يرد ناجي هذه المرة . الإنسان قد يكون مجبراً أحياناً على السعادة . ذلك يحدث مثلاً مع جواد زوج خديجة الذي تحدثت عنه لنور الصباح . انه مريض بمرض خطير بسبب له آلاماً عظيمة من وقت لآخر ، لكنه يقاتل حتى لا يبدو تعباً منتشر التعاسة حوله ، خاصة في مثل هذا الأسبوع الذي جاءوا فيه يفضّلوا عن أرواحهم نعب عام كامل .
- ولم يشأ ناجي أيضاً أن يخبر جاره أن الإنسان أحياناً يتمسك بالحياة من باب التحدي لأعدائه الذين يريدونه أن يموت . في هذه الحالة قد يضطر الإنسان إلى لدخول في حالة من اللا مبالاة ، وهو يراهم يمرقون حتى قوت أطفاله وحفهم في المستقبل . ذلك تقريباً ما يحدث لمعظم الناس

- الآن . يعيشون في وطن لا يحبونه ، ولا يكرهونه . فقط لا يفكرون في وجوده ، رغم كثرة الحديث عن الوطن في المدارس ، والصحف والاداعات . لكن ناجي لا يحب الحوص في السياسة . سيفول لجاره إن السعادة الآن تمرين يومي . لكنه لا يقول ذلك . يسكت ويمسك الرجل :
- المدهش أنك احتزت شهراً شديداً البرودة للإقلاع عن التدخين . كان أحرق بك أن تفعل ذلك في الصيف .
- لكن يناير جاء حاراً هذا العام . أليس كذلك ؟
- هكذا وجد ناجي نفسه يسأل الرجل بلا ترتيب سابق فيسبب له رباكاً أكثر ليقول بلا حول :
- يناير يأتي دائماً منذ خلق الله الأرض .
- يسكتان ، لكن الرجل يقول بعد لحظة والحمرة تعلن هديه .
- لعلك تقصد حرب الخليج . معك حق . كنت الكويت تحترق ، وبغداد تنهم ، والبصرة تذهب في الأرض ، والصواريخ تطير بالليل إلى الرياض وقتل أبيب ، والواحد لا يصدق أن الكرة الأرضية لا تزال في مكانها . لكن حقاً كيف أفلحت عن التدخين في تلك الظروف الصعبة . لا بد أن لديك إرادة حديدية ؟
- هل كان ناجي يريد أن يصل بالحديث إلى هذه النقطة وهو لا يدري ، ربما ، هاهو يزفر زفرة الذي يتذكر شيئاً أنيماً ويقول :
- في تلك الأيام لم أكن أنام . كنت أفق طويلاً لليل أستمع للإداعات الأجنبية ، لا بد أنك كنت تسهر أيضاً .
- ينظر الرجل إليه مذهناً ويقول :
- لا . كنت أنام منكراً .
- ويسكتان . يبدو الضيق على وجه ناجي . كم هو حمق بحق ؟ ماذا يريد أن يستمع من الرجل ؟ ...

- ثمانية أشهر الآن بلا تدخين شيء رائع . رائع جداً . لكن كيف حقاً نجحت في ذلك ؟
- اكتشفت أنني أبدو منذ ربع قرن ولكن الدنيا لم تعد أجمل . بل ربما تزداد سوءة ..
- يسكتان . يبدو الارتباك على وجه الرجل . يحس ناجي أنه يدخل بالرجل في طريق لم يستعد لها . لكن يبدو أن الرجل قبل التحدي فهو يقول :
- قد يكون معك الحق . لكن الإنسان لا يستطيع أن يربط بين التدخين وحال الدنيا ، ربما يكون ذلك صحيحاً مع حاله هو . هكذا يكون الأمر أكثر واقعية - ثم يخفض الرجل صوته جداً ويقول - حضرتك حالك الآن أسوأ من زمان ؟ .
- تقريباً .
- يرد ناجي على مضض يستمر الرجل .
- لكنني أراك سعيداً على الشاطئ .
- لا يرد ناجي هذه المرة . الإنسان قد يكون مجبراً أحياناً على السعادة . ذلك يحدث مثلاً مع جواد زوج خديجة الذي تحدثت عنه لنور الصباح . انه مريض بمرض خطير بسبب له آلاماً فطيمة من وقت لآخر ، لكنه بقاتل حتى لا يبدو تعيماً منتشر التماسه حوته ، خاصة في مثل هذا الأسبوع الذي جاموا فيه يغسلوا عن أرواحهم نعب صم كمن .
- ولم يشأ ناجي أيضاً أن يخبر جاره أن الإنسان أحياناً يتمسك بالحياة من باب التحدي لأعدائه الذين يريدونه أن يموت . في هذه الحالة قد يضطر الإنسان إلى التحول في حالة من اللامبالاة ، وهو يراهم يمرقون حتى قوت أطفاله وحفهم في المستقبل . ذلك تقريباً ما يحدث لمعظم الناس

- الآن . يعيشون في وطن لا يحبونه ، ولا يكرهونه . فقط لا يفكرون في وجوده ، رغم كثرة الحديث عن الوطن في المدارس ، ولصحف والاداعات . لكن ناجي لا يحب الحوص في السياسة . سيقول لجاره إن السعادة الآن تمرين يومي . لكنه لا يقول ذلك . يمكت ويمتله الرجل :
- المدهش أنك اخترت شهراً شديداً تبروده للإفلاخ عن التدخين . كل أخرى بك أن تفعل ذلك في الصيف .
- لكن يناير جاء حاراً هذا للعام . أليس كذلك ؟
- هكذا وجد ناجي نفسه بعد الرجل بلا ترتيب سبق فيسبب له رباكاً أكثر ليقول بلا حول :
- يناير يأتي دائماً بارداً منذ خلق الله الأرض .
- يسكتان ، لكن الرجل يقول بعد لحظة والخمرة تملو خديه .
- لعلك تقصد حرب الخليج . معك حق . كانت الكويت تعترق ، وبغداد تنهد ، والبصرة تدهس في الأرض ، والصواريخ تطير بالليل إلى الرياض وقتل أبيب ، والواحد لا يصدق أن الكرة الأرضية لا تزال في مكانها . لكن حقاً كيف أفلعت عن التدخين في تلك الظروف الصعبة . لا بد أن لديك إرادة حديدية ؟
- هل كان ناجي يريد أن يصل بالحديث إلى هذه النقطة وهو لا يدري ، ربما ، هاهو يزفر زفرة الذي يتذكر شيئاً أليماً ويقول :
- في تلك الأيام لم أكن أنام . كنت أفق طول الليل أستمع للإذاعات الأجنبية ، لا بد أنك كنت تسهر أيضاً .
- ينظر الرجل إليه مدهشاً ويقول :
- لا . كنت أنام مبكراً .
- ويسكتان . يبدو الضيق على وجه ناجي . كم هو حمق بحق ؟ ماذا يريد أن يستمع من الرجل ؟ ...

ويعود الرجل ليسأل :

- لكن لماذا حقاً كنت تصهر ؟ . هل كنت تعرف أحداً هناك ؟ أعنى فى الكريت أو العراق أو جعر الباطن ؟ .
- لا .

يرد ناجى باهضاب اندى يخشى على نفسه من الانفجار المباغت .  
لكن الرجل يستمر .

- لا بد أنك تعبت جداً ، لا نوم ولا تنهين . هذه حياة قاسية للغاية .

يعودان تنسكرت . الرجل فى حالة إعجاب حقيقى بناجى ، وناجى فى حالة من ، ألام الكبير ، لكنه لا يستطيع أن يفنى بشيء فالرجل بعيد بعيد ، ونرى يجنيه أن يخبره بأن له أصدقاء فى العراق أو الكريت أو جعر الباطن كما يقول . ثم إن الرجل فيما يبدو مسكين ، وربما لذلك عاد ناجى للحديث . لكنه يغيره وينسأل ؟

- هل رأيت لقدنيل الذى بصطادها الأطفال ؟

- نعم رأيتها .

- هل ترى لها جنذاً أم أنها كلها جسد من الجلد ؟ . جدارها سميك ، جدار جسدها . والغريب أنها رغم نعومتها تتغذى على الأسماك والقشريات ، هل تعرف شيئاً عن السلسلة الغذائية فى البحار ؟ .
- لا ..

- يا أيضاً لا أعرف . ربما كانت الشعب المرجانية أول السلسلة . هى كذلك فعلاً . بها نيسب صخوراً كما يتصور البعض ، بل ملايين حيوانات ذات الحلية الواحدة . القشريات تتغذى على الشعب المرجانية . لاحظ ذلك جنذاً . تأتي قناديل البحر التى هى أقل صلابة من الجميع لتأكل القشريات والسرطانات والأسماك بأشواكها

وعظامها . إنها تدينها وتمتصها . هل تعرف من الذى يأكل القناديل ؟ إنها السلاحف المائية التى تبدو أنها انقطعت من البحر المتوسط الآن ؟ لقد أصبح أكبر بحيرة ملوثة فى العالم البحر المتوسط هذا ..

ويستثنى من جديد للحظات أطول حتى يقول الرجل :

- أيام الحرب قيل إن السلاحف ماتت فى الخليج أيضاً بعد إطلاق بقعة النفط .

لا يرد ناجى الذى يود الآن ، ويصدق لا يعرف مصدره ، أن لا يعود لأيام الحرب ، لكن الرجل يندفع فى غيظ حقيقى ليقول :  
القندول حيوان قذر . رخوا بليد . ناه فى نهاية الأمر يستسلم للمرج بضربه كما يشاء ، ويحمله كما يشاء ، ليلقى به أنى يشاء ..

يشعر ناجى بالارتياح إذ يبدو له أن الرجل يصل بالحدث إلى نهايته . لكنه يرى سمير يتقدم ناحية السائق يطلب منه التوقف ، فيسأله :

- ماذا جرى ؟

- نسيت الكاميرا وكل الأفلام التى صورتها طيلة الأيام السابقة عند الصحرة . كنت أصعب الجميع فى كيس بلاستيك تركته جوار الصحرة ، ووقفت أملاً عيسى باتماع البحر وزرقته ، ثم برلت وسيت كل شيء ..

كان السائق قد توقف فيسأله ناجى :

- هل يمكن أن نعود جميعاً إلى هناك ؟ ندينا وقت .

لكن الركاب الذين كانوا استبقوا مع توقف السائق المعاجى هذا ، أنزكوا أنهم اقربوا كثيراً من العريش . صاح بعضهم :

## القناديل

- كيف أمسكت بالقنديل يا زياد ؟
- حملته . لم أمسكه . لا يمكن إمساكه . ينزلق بسهولة . لأسهر حملي بشرط من ظهره .
- أعرف ، أعرف . أقصد كيف حملته وتم يلدغك ؟
- كانا شبه نائمين فوق الماء بتأرجح بهما بهوادة مهد جميل ...
- إنه لا يلدغ .. يفرز مادة قلوية . أجل قلوية لأننا نصنع فوقها الخبز . حمص الخليك . هل نسيت يا بابا ؟
- كان يراجع معه دروسه العلمية طوال انعم الماضي .
- لا . ثم أنس .
- الحزن مع القلوى يتعادلان فلا يستمر تأثير المادة القلوية .
- تكن كيف لم تخف أن تطولك المادة القلوية للقنديل .
- ازداد حماس انوود فأجاب :
- القنديل لا يفرزها من ظهره . يفرزها من بطنه . بالتحديد من اثوامس الملاصقة الطويلة في بطنه مثل الأصابع الشمعية . لذلك وجدنا بينها أسماك صغيرة وكابوريا صغيرة أيضا ...
- أسماك حية ؟
- مبتة . القنديل يفرز المادة العارفة على أي جسم يقترب منه ، فيعده الاحساس في الحان ، خاصة إذا كان صغيراً ، ثم يفرج القنديل لئلا يمسح بأحد يديها ، يديه في التمدة العلوية ويمصه . نسر للقنديل هم ولا أسنان .

— صعب أن تعود فالمسافة طويلة .

وبحسب السائق الموقف .

— سن ندى وقود كاف للعودة ، وكما رأيت فلا محطات وقود في الطريق .

وبأني الأصوات من خلف حاجي :

— سيارات الأجرة كثيرة على الطريق .

يكشف السائق أن سمير نزل قبل هذا الحوار كله أو نصفه على الأقل .. نهمس شائبة في أذن نور الصباح « قلة ذوق » وتشير نزوجها بأصابعها تودعه من خلف زجاج النافذة . يبتعد الميكروباس . يسأل الرجل حاجي :

— هل تراه سيجدها ؟ . الكاميرا والشرائط المصورة . لا أظن ... لقد قابلنا سيارات صيحية إسرائيلية داهية إلى الصخرة ، والكاميرا ليست بالشئ المرغوب الآن .

يطلق السائق صوت المسجل فجأة ويرتفع صوت المغني ، ويرتفع معه صوت لأطفال « يا أم العيون العجب هدى للقمر هدى .. الشعر لون لدهب والقلب من فضة » . يهتز حاجي .. متى استيقظ هؤلاء الأطفال وكيف قررو الغناء بهذه القوة ؟؟

\* \* \*

كان سحى قد احتل ثولزته فوق الماء ، فوقف يقول لابنه :

— من أين لك كل هذه المعلومات ؟

— من دائرة المعارف التى اشتريتها لنا .

— وهل نحن لدينا دائرة معارف ، وهل أنا الذى اشتريتها ؟

— طبعاً . إنها جميلة جداً . لقد اشتريتها منذ خمسين . كيف نسيت ذلك ؟

حاول ناهى من جديد النوم على ظهره فوق الماء ، أغمض عينيه وقال :

— طيب . ألا تخشى أن يقلب القنديل على يدك ؟

— إننى أرفعه بحرص ، ثم أنه أيضاً ميت لا حيلة له .

— ميت ؟

— ألا تراه يجعله الموح ويؤرجحه كيما يشاء فإذا لم نتمكنه عاد مع الموح إلى قاع البحر . القنديل لا يكون عابثاً هكذا فى الماء . غالباً يسبح فى الأعماق إذا كان حياً . ثم ألم تر أننا أمسكنا بقناديل كثيرة بلا لوامس ؟ كانت ممزقة قطعاً . لا بد أن محركات السفن المضطمة فى عرض البحر هى التى فعلت ذلك . لكن هذا لا يعنى أن لا حظورة فلا تزال فى اللوامس بقايا من المادة العارقة .

ولا بد أن الولد أدرك فيما يفكر أبوه . هذا الحيوان الغريب الذى يبدو جميلاً نعت الماء وباهر كيف يصبح مقرراً إلى هذه الدرجة فوقه . هل هى هلاميته وجيلاسييته وشمعيته ورحاونه تبحث كلها على التفرز ؟ . نقد فوجئ ناهى باسمه يقول له :

— القنديل حيوان مسكين لا قدرة له على مقاومة الموح وخصوصاً إذا كان صغير الحجم مثل الذى تصطاده . هناك طبعاً قناديل متوحشة

بصل حجم الواحد منها إلى حجم رورق لكعب لم تظهر حتى الآن ...

وصحك زياد فجأة ثم أشار إلى الشاطئ وهتف :

— صاحبة ماما . دائماً تبحث عن أصحابها كل يوم ساعة المغرب .

\* \* \*

### الفتاة الفلسطينية

كان اليوم هو الثالث . الرابع . بل الخامس لهم فى العريش . لماذا يحاول تحديد اليوم الذى رأى فيه الفتاة الفلسطينية وهو يراه كل يوم ؟ .

كان التجلباب هذه المرة أصفر . اقترب منه جواد مبتسماً وهو يقول هامساً « هل تحب البحر الأصفر ؟ » التجلباب يخطف الأصفر بلونه والزهور الزرقاء ، التى تقورع على مسافات بعيدة فيه ...

قرر ناهى أن يخرج يعترض طريقها . هكذا كشاب فى العشرين . لا بد أن التجرد من الملابس يعطى الإنسان الاحساس بالحرية . يأخذ معه كثيراً من المواضع الاجتماعية والأعراف المضطمة . يصبح لإنسان طفلاً يبحث فى الماء .

وقف فى طريقها ولم ترتبك . ابتسمت وهى ترى ابتسامته . رآه أصغر حجماً مما تبدو عليه من بعيد . هذه المندعة لسانية لا يجد لها تفسيراً حتى الآن . تبدو اتقنات والنساء دائماً من بعيد أكثر حجماً مما هن عليه من قرب . ذلك ضد قوانين الطبيعة وصمد فو يس أس التيهشم واكتشافاته . أين إثنى بكمن أسمر ؟ مراوغة حتى فى الشكل لعن الناظر دائماً فى احتياح . ذلك سؤال قديم تفلسفه اجسده لتسيحه أنه يرى كما

يهوى ، وغالباً هي رؤيته يشوبها الجس و العاطفة . تبدو المرأة دائماً من بعيد دعوة جسسه صارخة . وفاجأته الفناء الفلسطينية :

— مساء الحير أبو زياد .

ثم نره من قبل عن قرب . كانت إذا نظرت إلى البحر تراقب الأطفال ، فهم الذين يحملون أسماء فلسطينية . لا بد أنها نظرت إليه أيضاً فهو الذي حملهم هذه الأسماء . ربما لن ترى غير رأسه ، لكن الإنسان لا يحتاج لأكثر من ذلك ليعرف من ينظر إليه . وهل هناك معنى لرؤية جسد الرجل بعد رؤية وجهه ؟

وبينما ظل هو مرتبكاً كشاب تحت العشرين سألته :

— وين أم زيد ؟

— بالشلية .

وقبل أن نعمله التحية إليها سألتها :

— هل وجدت أصدقائك ؟

ضحكت وأجابت :

— إنهم شياطين ما أكاد أجدهم إلا ويختفون .

قالت الجملة الأخيرة بعناب وأسف ، لكنها ظلت تبسم بنط ، وهو أسبح لها الطريق نتمشى .

كان يريدنا أن نقف أكثر لكنه رأى الخجل ينصب خيمته على وجهها ، وهو بدوره حمل ما يشبه الأثير إلى وقت فيه برد وفيه ضباب . إلى الشمال الذي كلما رآها اتقل إليه .

يكـ يدخل في معمه رغم المعطف والكوفية . يمشي وبديه داخل المعطف والشبكة فوق رأسه . يمشي بتؤدة على الأرض السوداء ذات القرميد لجمد تلمع أمامه مغسولة بالثلج الساقط من السماء والبحار

لمتكتف من الضباب وأنفاس الناس ، والجدران والقرب الأحمر ، عن يساره والزحام أمام جندي الحراسة الذين طلعهم بمائلين من الشمع ثم أدرك أنها مقبرة لبنين وأنها الخرسان لها بتعبيران كل ساعة في مشهد موهيب وجميل يأتي إليه الناس من كل الدنيا بعرجور .

كانت الأصواء القادمة من أعلى جدران محل « جوم » الصخم تشعل الميدان ، ومعها الأصواء القديمة من أعلى سوار لكرملين ، والوجه الجميل يحاصر الإنسان دائماً من كل اتجاه ، والحقيقة انه يكون متجهاً إليه من ناحية واحدة فقط . هل هذه خاصية نسائية أيضاً أم خداع طبعي أم ظاهرة لها علاقة بعمر الفتيات الصغير وكهولته ؟ .. لمثل ذلك الوجه الجميل أن يعطيه البقير بأن ليل صباحاً وللدنبي شمساً وإن كانت لا تزال فوق الضباب . بياض وحمرة في الوجه الفلسطيني أفضيا به إلى بياض وحمرة وجوه الشمال إلا أن الأنف في موسكو يختلف والعينين . العيان هناك زرقاوان فيهم عمق البحار ودهشة الأوقيانوس ، وخاليان من أي احساس بالألم أو الترجس . والأنف الموسكوفي ، ذلك الأنف بالذات الذي كانت تحمله « أولجا » أو « أولا » ، كان أصفر أنف في العالم . قانت ذلك زميلتها « نافشا » التي لم تأت معها بعد ذلك . أصاف هو أن فيه عظمة الرومان . وكانت زميلتها تعرف قليلاً من الإنجليزية فترجمت نهـ وله ، ورأى الوجه الأبيض المشرب بالحمرة اللامع البشرة الدافئ انريال يمتلي أيضاً بالاحساس بالمعـ ، وهمست باسمها فقال وأنا أسميك « كنيويانرا أو الملكة » ، فأغمضت عينيها لحظات شربت فيها المعنى اتعميق للعظمة التاريخية .

ثم يكن صعباً بعد ذلك عبور الشارع والجسر القريب إلى « فندق روسيا » انصهم حيث ينزل في شوره المسبح ، ولا العودة منه برحاجه للمارينين وهما تنظرانه جوار الغاب الشرقي تفندق . بسـم وهو ينزل

في المصعد وقل لنصه « كأنه لم يعد لك في موسكو من عمل غير فتح قلوب العدري - المارييني الابطاني والمارنيورو الأمبركية » .

عرف كيف يقول « سعاديا » وهو يودعها وصديقها . ويقول بصاً « ر فتر » صارياً موعداً في الغد . وفي الغد أتت وحدها « أولا » وعلى شاطئ نهر موسكو مشياً حتى أحزنه إلى دغل غير كثيف من أشجار الكستناء والصنوبر وشرباً المارتيني معاً . ولما سألها أن تصعد معه إلى الفندق متوقفاً أن ترفض ، وافقت ، ولكن على أن يتم في يوم آخر . « لماذا ، حقاً لم يحضر إلي موسكو وهو في العشرين من عمره ؟ » .. طرأ سؤال نصه هذا السؤال كلما رآها . ما أجمل ما ضاع من أشياء . للأسف أضاعها أشياء أقل قيمة . هل يكون عشقك لثباليه لروسي صحيحاً دون أن يراه ولو مرة على مسرح البولشوي ؟ ما قيمة أن تفتن بالقوزق دون أن تمشي قليلاً في ريف أوكرانيا ؟ وما معنى أن تحب تروتسكي دون أن تنجو في ليننجراد ؟ هل يقول بطرسبورج ؟ لم يكن هناك قيمة لأي شيء قرأه عن الاتحاد السوفيتي دون أن يراه . كان عليه أن يفهم ذلك مبكراً . ربما لذلك نحلى عن حلمه القديم بسرعة . لقد ابتعد كثيراً عن الماركسية . وما هي البلاد الماركسية تفعل ذلك لكن الفارق جد رهيب . إنه لم ير شيئاً من الحلم بينما هنا رأى الناس ولو غيباً من الحجر ، أجن ، عبث من الحجر رغم ما يحدث من تراجع عن كل شيء . لقد سمع المحتشدين في مظاهرة الأحد ، التي أعلن عنها بعد وصوله ببومير ، يتحدثون عن البلاشفة الذين سرقوا الثورة الديمقراطية للمباشرة . هكذا بشكل صريح ، وفي ميكروفونات عالية . وكان مرافقه السوفييتي لا يكف طول الطريق عن الحديث عن طنانع متالين . وحين رآه ينطلق إلى العمارات السبعة الشهيرة التي أمر ستالين ببنائها على طرز انكرميين ، قال إن الذين بنوا هذه العمارات هم المعتقلون السياسيون ، وإن أوامر ستالين كانت محددة ، هي القاء كل من يتراخي

في العمل من ذلك الارتفاع الشاهق للمبنى . لقد فتت ناجي بأبهة المعمر ، والارتفاع المبني في السماء ، وأوشك أن يسأل مرافقه كيف كانوا يلقون الكسالى في المراحل الأولى للبناء على الأرض ؟ لكنه ابتسم ولم يتكلم رغم ذلك فهو يعرف الكثير عن فطائع ستالين . لكنه أوصاً ود لو يصرخ في أحد ، في الجميع ، ماذا تفعلون بحق الجحيم ؟ لكنه لم يصرخ . في وقت مبكر أدرك أن تحقيق العدل في الدنيا أمر محال . الماركسية عمل جنوني أقرب إلى الفراجيديا اليونانية . مأساة حقيقية إذ كيف حقاً يمكن إشاعة العدل في العالم وتاريخ البشرية هو تاريخ الظلم والظالمين ؟ المتفرجون الآن ينصرفون من المسرح بعد أن تظهروا حتى النهاية ، والمعتلون أنوا أنوارهم ببراعة . نقد حولوا العدل لكن حكم الآلهة كان أقوى ..

كانت درجة الحرارة في الليلة الأولى التي قابل فيها « أولا » للعاشرة تحت الصفر ، وقبل الساعة الثانية عشر كاد يخنع ثيابه من الحرارة التي تنفذ في جمده ، وهو يمشي محتسناً « أولا » إلى جانبه في طريقهما إلى محطة المترو القريبة من الفندق . في الليلة لأولى مشى في الوسط . ذراعه اليمنى تحيط بـ «أولا» واليسرى بـ «بانتاش» التي لم يحلقها نولستوى . وظل كل ليلة يودع «أولا» عند محطة المترو حين ينتصف الليل . كانت حريصة دائماً على الحضور في موعدها ، في الساعة مساء كل يوم ، لكنها أبدأ لم تصعد إلى الغرفة . راحت تؤجل الموعد يوماً بعد يوم . لم تطلب منه هدايا ولا عقداً ، تقنعت في هممه بالإشارة والكلمات الانجليزية البسيطة التي علمها لها والكلمات العربية أيضاً ، وكان هو يفهمها بالتمشير كنمت الروسية التي زنت إلى عشرين الآن .

تقد عرف أن لديها طفلاً وأن زوجها طيار مدني ، وعزم منها وهي تصحك مثاقفة أنه في عمر أمها ، وأنه يشبه زوجها في كل شيء ،

لم يفهم لكلامه أى معنى عبر المداجنة والتبذأة .. لاحظ أنه يفرق بين  
موعده كل يوم بشعب ، أحب التذهب بها كل ليلة إلى « البريونكا »  
لملحقة بالهدق نشره المارينى أو « الكاميرى » الذى تحبه ، ويشربه  
فى الدغل الكثيف الذى لا يكلم ، لما فكر فى شيء لم يتم ، اكتشف أنه  
لوفاء بوعده بالصعود إلى غرفته . لكن كانت هناك أيام باقية له فى  
موسكو لا تزال ..

\*\*\*

## عمر الصديق

كان ناجى على يقين بأن الاصطراب الذى ظهر على وجهه يوم أخير  
جواد بالثبته بينه وبين أحد أصدقائه ، هذا الاصطراب الذى تسبب فيه  
نسيانه لاسم صديقه ، يمكن أن يشي بالكذب لجواد . لذلك لم يهتم التفكير  
فى اسم صديقه ليندو صادقاً ، فى كل لحظة يجد فيها الاسم أمام عيبيه ،  
ويعد به ليمسك به ، يخفى لاسم المزاوغ . أمس بينما هو عند مع سمير  
من البلدة استقلاً ناكسياً وقال للسائق :

— عند مطعم القدس .

رد السائق متسائلاً :

— تقصد أمام جامع الحلفاء .

— لا أعرف اسم الجامع .

— اسمه جامع الحلفاء . مشهور على البحر .

قال لسائق ذلك ، فعرف اسم الصديق المنسى إلى ذاكرة ناجى . انخذه  
لأربعة . عمر واحد من الحلفاء . صديقه اسمه عمر لكنه ليس الفاروق  
بل الصديق . أحل . هكذا أراد أبوه أن يحتمنه كنية أبى بكر .

كان أول ما فعله ناجى هو التزول إلى البحر ليحضر جواد الذى كان  
فى الماء باسم الصديق ، ويمحي أية صورة غير حقيقية تكون تكونت عند  
جواد عنه .

حمل الموح خنيجة ونور انصباح وشادية معاً بعيداً عنهم ، جواد  
وناجى ، وعن المرأة ، شهر زاد ، التى بقف زوجها فى الماء حاجزاً  
للموت . وقال ناجى لجواد :

— هل تذكر أنى حدثتك عن صديق لى يشبهك تماماً ؟

— أجل .

أجاب جواد ضاحكاً :

— ألم أقل لك إنه كان له نفس صوتك الرنان اللامع وأنفك الطويل قليلاً  
وعينيك اللوزيتين ؟

— لا أنكر ذلك ، لكن هل هو يشبهنى إلى هذا الحد ؟

— المدهش هو الصوت ، كأن لكما أحبالاً صوتية واحدة ، وكذلك  
طريقة الكلام التى تسهم معها المينان بالاستغراب الدائم أثناء  
الحدث . لقد كان صديقى هذا غريب جداً . كان يحب عمر  
ابن الخطاب أكثر من أى شيء فى الدنيا . يقول دائماً وهو يقطع  
قطعة الخشيش بين أسنانه أقراصاً صغيرة « ابن الخطاب كان  
استثناء فى تاريخ البشرية ، لم يكن عادلاً قط ، بل كان العدل عسه  
مجسداً . ولا أظن أن البشرية ستجد العدل بمشى بينهم على قنمين  
مرنين » .

كان الموح هائفاً ذلك المساء كالعادة .. المعدة بدأت تنزع نفثها .  
شهر زاد تسبح أمام زوجها المزعوب ، تمشى أمامه وسط الماء ،  
حديقة ونور الصباح وشادية خرجن من الماء وحلبن بعيداً مع  
الأطعمان .. المعدة انطسطينية لم تظهر بعد . وحجى يحدث

سوف يقطع كأساً يريد أن يؤكد ألف مرة أنه كان صادقاً حين قال لجواد إنه يشبه صديق له ...

« كان صديقي هذا اسمه عمر ، وكان لنا صديق ثالث نجتمع عنده عادة في لوالى الشتاء . كان ذلك في السبعينيات . منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، لم يكن قد تزوج بعد ، والسادات يجري منحرفاً بعربة المجمع بسرعة دهشة مطلقاً العفاريث علينا من كل اتجاه ، وكنا نجتمع باثنين نطلق قصي درجات الصحك حول نخل الحشيش ، كنت أنا الذي أذهب كثيراً لصديقنا لثالث . نتذكر عمر صجده بطرق آتباب . يصل فتعند السهرة حتى الصباح إذ يخرج من جيبه مبتسماً بوداعة ودهشة طفولية قطعة الحشيش لتي معه ... »

يُن كنت يا عمر ؟ في سيوه . ويخفي نبعود ، أين كنت يا عمر ؟ في لتوبة . ويخفي ويعود . أين كنت هذه الفترة ؟ في سانت كاترين ، في لدير ، في وادي النطرون . ويخفي ويعود .

في كل مرة يحدثنا عن تصوره للحضارة المصرية ويدعونا لعدم اليأس ، « طيب ، السدات صالح إسرائيل . ليكن . الشعب المصري يحاصم إسرائيل و لحكومة معاً ، وسيأتي يوم ينتهي فيه الصلح ، إن لم نقم لدولة فلسطينية ، ولأن حضارة مصر لا تقوم إلا إذا كان الباب الشرقي الشمالي هذا آمناً . هذه حقيقة فرعونية ، لا ينهيه اختلاف الزمن . ثم إن الفلسطينيين يتكاثرون أكثر من اليهود ، اليهود شعب محكوم تاريخياً أن يظل أقيية . شعب غير حصص جسيماً . أي والله . هذه حقيقة ونسبت سطورة من أساطير أنيس منصور . الحصوبة العربية متجهز على لدولة ليعبرية ، وقلة الحصوبة صعبة نسب في اليهود فقط ، إنها أيضاً صعبة مركبة . ومعروف عنمياً أن الأتراك حيفرضون من الدنيا . ربما يحدث لك خلال ألف سنة على الأكثر ! »

ويصحك نون صوت ونظهر الدهشة عميقة في عيبيه . سطلق نا وصديقنا الثالث في الصحك ويقول عمر « شعوب رجالها مساكين » فتنتطق في الضحك أكثر بطوعنا التحشيش الحيد . يا الله . الحشيش لا يثير في الإنسان أي روح عنوانية ، بل يحوله إلى حمل وبيع . يقول عنه عمر إنه مؤنب ، وجبان ، يقصد الحشيش ، ويترك نصحك بيده هو لا يزيد عن دهشة الانسام .

كان عمر عاشقاً لفن عمارة حسن فتحي يحلم لو تم هدم كل مبني القرى والبلاد وبناها على طريقة حسن فتحي ، أر همنه جميعاً وعدم بنائها مرة أخرى . كانت لديه مشروعات كثيرة عن قرى سياحية ، ويحدد لكل مكان في مصر خامات بناءة ، حتى جاءه يوماً يقول ، إنه يريد أن يبنني مشروعاً حطيراً . هل تعرف ماذا كل المشروع ؟

— لا .. ماذا كان ؟

تسأل جواد باسم :

— الأراجيح ... إنتاج ربيع الأراجيح .

أحب نأحي وقد كسا وجهه ألم حفيف وبدأ شرد اللب وهو يتكلم ، ثم قال :

— أي والله كما أقول لك . قال « إن لأرجوحة الشعبية زمان كانت سهنة وبسيطة يمكن لأي شخص أن يصممها ، مجرد خمسة عواميد من الخشب أو المولير . أربعة منها تشكل الجابين ، والخمس يمتد بينها من أعلى ، ويتملق به المقعد بحبلين . أرجوحة بسيطة وسهلة يمكن لأي شخص وضعها في أي مكان . الآن الأرجوحة الشعبية شيء رهيب جداً ، في حجم القرام . آلة ضخمة كنها حديد في حديد تمشي على عجل ويحتاج صاحبها إلى ترخيص من الحكومة . ليعف بها في المكان الذي يريده ، شالك قلت لأراجيح ،

## الطريق

كأن السيارة الميكروباس لا تجرى على الأرض . الهواء الطيب  
أندخل من النافذة يبعث على الشعور بالشفوة . وصدره الذي فتح فمحه  
عنه ، يمتص الهواء بمصاميه المصروحة ندياً البيضاء . ذلك ما يعطيه  
الإحساس بأنه مسافر معنط ظهر جواد رائع يخب مخفلاً في حقول  
واسعة . نعله أبيضاً قرب البحر الذي يثمر هواءه وضعم ماءه في  
الفضاء . نعله الوقت الذي انقضى بين الماء والهواء . ونعله شهور قديم  
بالرضا بالتحال بظهر عجاء فيشملة .

الطريق الضيق محاط بالأرض الخضراء . شوك وصبار ونباتات  
عديدة لا يعرفها أكثرها شيطاني ، وبحيل كالعادة وينح داهب للاحمرار  
واللعمان وأشجار لوز قصيرة كثيفة وأشجار زيتون مباركة وأشجار خوخ  
كبيرة وزائحة تلصمت ..

انتهى شريط التسجيل الذي يحمل الأغنية المصرية لدى وضعه  
المائق بعد نزول سمير من الميكروباس . لا بد أنه أدار وجهها واحداً  
للشريط فالمسافة ليست طويلة وسيدخلون البلدة بعد دقائق . ترى من  
يستطيع أن يعرف هم يفكر الجميع في هذه اللحظات الصامتة . يودحج  
النظر في وجوههم وقراءتها ، سيصورونه بانجنون ثم هم . لكن لصمت  
بشير هاتساعة بالكاد تذهب إلى اللأنة بعد الظهر ، والشمس لا تزل تنسبد  
الدنيا ، والفضاء يمرح فيه الهواء . نعله أبيضاً واتساعه يمتص أشعة  
الشمس فيشيع السكون في روحه ، المكان نفسه ، وفي روح البشر .

مشهد بيوت أنك والشعر المسائرة على مسافات بعيدة جو ر  
الأحواض الخضراء يوحى بالصمت المبالغ ، بيوت قديمة ممره ر نصه  
عريضة الدائرة فوق الأرض لم تبرز مكانها منذ عشرات السنين ، لا تـ

لم يعد الأطفال يعرفون طعم الهواء ، في وقت هم أحوج الناس إلى  
الهواء ، والطير في الهواء . الأطفال الآن يولدون عذرة ويمسرون  
كذلك . بن حسان يطيران بالأرجوحة لا يصاحبه إحساس في الطفولة  
أسريته . طيب . وكيف تنشر هذه الدعوة ؟ . نحتاج إلى مساعدة من  
لإعلام . لإعلام ليس معنا ، نشره عن طريق صحافة الماستر .

وكل مرة تستطيع أن تصنع لها أرجوحة أمام البيت . أرجوحة لكل  
سرة سيكون لشعار . وبعد انتشار الدعوة نبدأ في إنتاج الأراجيح . انظر  
كم يكسب ؟ . به مشروع لا ينتبه إليه الانفتاحيون النعماء . الذين ذهبوا  
يسجدون مخلقات طعام فواعد حلف الأطلنطي ..

احتفى عمر ليعود بعد عام . بدا شارباً حريماً . مالك يا عمر ؟ .  
« شعر بذب فطبع » . لماذا ؟ . « كانت زوجتي عند أمها في  
لاسكندرية وأنا وحدي في الشقة . نظرت فزأيت زحاماً حولي من الأثاث  
يكاد يخنقني . دخلت الحمام وأخذت دشاً رائعاً ، وخرجت فذاهمني  
لأثاث . مسكت بالجريدة ورفعت سماعة التليفون واتصلت بصالة  
لمرادات . جاءوا وحملوا الأثاث كله « نهارك امود يا عمر » . لم  
أحفظ حتى بالكتب . المشكلة أن زوجتي عادت ، ثم عادت لأمها بعد أن  
أقسمت أن لا تعود . لا إذا عاد لأثاث ؟ ، وأما أحبها ولا بد أن أعيده ، لكن  
صالة المرادات ، كدت انتهت من بيعه . أثاث جميل بيع كله في أول  
جنسة وتفرق الآن في البلاد . « وماداً مستعمل يا عمر ؟ » . لا بد أن أعيد  
الأثاث قطعة قطعة من أجل خاطر زوجتي . هن نرياني سنجح ؟ ولم نعد  
نراه بعد ذلك ليوم .

\*\*\*

به طئبت من أنه الصمت أن تسكن جوارها وحولها ، أن تتحرك الشمس فوقها ببطء ، وأن نمرغ حرارتها الدنيا من الريح والهواء .

ذلك الصمت للحليل فوق سبيلاء معرض للحنش في كل حين . ميناء دائماً بحر من رمال ودم مند كل في الدنيا وطن اسمه مصر فيه نيل وشعب وأرض حصينة لها إله معبود . كل غاز فنيك كان يأتي إلى مصر لتأمين بلاده التي بينها وبين مصر جبال وبحور وبحور وجبال ، وكل حاكم لمصر كان يضع أسور مملكته في الشام والافدين كما قال عمر الصديق ، رمال سبيلاء إن عظام مسحوقة . كرات دم تكلمت ، والسيارة التي تمشي على الطريق الجديد القائم على رمال من عظام ودم الجنود عليها أن تمشي الهويما . أجل ، الأرض ناعمة معزية بالسرعة ، لكن عليها أن تمشي الهويما . يكاد ناجي أن يطلب ذلك من السائق . لكن سرعة السيارة تعني قلة وزنها أيضاً ، فليطلب من السائق أن ينطلق بأقصى سرعة فيخف ضغط العجلات على العظام ، وليطلب من الجالس قراءة لعابحة على روح الشهداء في كل العصور ، لكن مدينة العريش تظهر فجأة ويحرد صوت الأطفال وتصفيقهم مع إيقاع الموسيقى الصاخبة ..

\* \* \*

## الوصول

توقف السائق فوقف مسئول الرحلة عند الباب وقال :

— ما زلت أكرر اعتدائي عن عدم التقدم أكثر في رفع . إننا نعمل ذلك كل يوم مع كل الأهواج ، اليوم اختلف لأسباب ليست من عندنا على أي حال ، أكرر اعتدائي وشكراً .

بمجرد أن انتهى وانحى جانبا انطلق الأطفال يملكون خلفهم النساء

ثم الرجال في غير ترتيب . « مجنون » قال ناجي ذلك فلا أحد . بعد ذلك تفرق الجميع بين الشاليهات .

كانت خديجة وجواد جوار شادية وبور الصباح ونجى ، وكانوا جميعاً يصحكون من سؤال لجواد عن سمير وهل من الممكن أن يصل الطريق في الصحراء ولا يعود إلا بعد شهر يحكي قصص الثعابين التي أكلها ، والكهوف التي اختبأ فيها من أبو حوش ، والمطر الذي نزل عليه سبواً رغم أنها في الصيف ؟ . وكان مما أدهش ناجي اكتشافه وهو يمشي إلى الشالية بعد نزوله من الميكروباس أنه لا يزال يملك إحساس الذي يصل لأول مرة . ربما لذلك لم يتذكر أي شيء مما رآه الأيام القليلة الماضية ، ولا مما دار في رأسه خلال الرحلة . تذكر فقط المرأة التي جاءت إلى العريش مع زوجها مند عامين ولم يعود . شهزاد . وفكر هل للاسم دلالة ما . امرأة عادية ليس فيها ما يلفت لا بد أن زوجها يجد فيها من حلاوة الروح أكثر مما يجد من حلاوة الجسد كما جرى العرف في مثل هذه الزيجات . « نسيم » هو يتذكرها في البحر وكيف يدور زوجها في غاية الهلع كلما أوغلت خطوة واحدة في الماء .

ينظر ناجي إلى البحر وهو يدخل إلى الشالية بعد أن أفسح الطريق لدخول نور الصباح وشادية . يرى رحاماً على الشاطئ قرب الماء . يحل الضحى . ينمحر الزحام بساء وفتيات يرتدين الجيز والبلوزات القاتمة ينتحين إلى الجانبين ويدخلن في بكاء عفيف . يبدو ذلك من وضع أيديهن على وجوههن . يقوم رجل عن الأرض وينعذ يائساً ، يدرك ناجي أنه الغطاس الشاب . يمتد بصره إلى برج الغطاس الحديدى فيرى التربة السوداء مرفوعة ترغرف . يا الله . من الذي جرب بحوض الماء وغرق ؟ . هتف ينادى نور الصباح . رأها تدفع إلى الحارج بسرعة ومعها شادية زوجة سمير . رأها تجاوراه وتقربان من الشاطئ . رأها نعدنان بسرعة أيضاً . سمعتهما نهجان « خديجة . خديجة » كانت

حبيبه تأتي من الضلعة الواقعة خلفه تنحني إلى النحر ولم يعطن فطن أنها هي  
نسى عرف ناسب أنها كانت في الرحلة معهم ، لكنه رآها تتجاوزها إلى  
بور الصباح وشادية ، وزاي رجالاً يحاولون الإمساك برجل متوسط  
لعمري يشد شعر رأسه ويلطم حنفيه . يعرف ناجي هذا الرجل جيداً . رآه  
ينقلب فوق لرمال كمن أصابه صرع شديد ويهيل الرمال فوق رأسه  
ويعبر وجهه . لا يكاد ناجي يصتق . كان جواد قد ظهر أيضاً ووقف  
قريب منه ، وكانت النساء الثلاث قد عدن بكيات . لا يحتاج ناجي إلى أن  
يعرف شيئاً من أحد . غرقت المرأة التي يقف زوجها مثل حاجز الأمواج  
بينها وبين الموت ، والتي فصّلت على النساء كيف جاءت إلى هنا مع  
زوجها ولم تعد ، وكيف صار يحبها ثم أجهشت في البكاء .

يجلس ناجي على أقر - مقعد في فرائدة الشاتيه . يشمله أسف شديد  
يكاد يصل إلى حد الفهر . ما الذي جعل ذلك الرجل يحب زوجته كل هذا  
الحب فلا يمنعها من برون الماء في يوم حطير مثل هذا اليوم ؟ من أي  
شهر يار ورت الرجل كل هذا الحب ؟

\*\*\*

## الحوار الأخير على المقعد

في المسافة القصيرة بين ظهور بلدة العريش وبرونهم عند الشاطئ  
عد لدى جدار - حتى يسي مدورنهم . عاد إلى شيء بدأ أن كنيهما قد  
أهمنه . تكن لحفيقه أن ناجي وحده هو الذي كان قد أهمله ، بل تجاوز  
الإهمال إلى النسيان . قال الرجل :

— الكريم ندى اشتريته ليس عليه ما يشير إلى البلد الذي صمغ فيها  
لذلك لا أعرف ما إذا كان فلسطينياً أم إسرائيلياً ؟

يمكن أن يكون مصرياً أيضاً صنع في رفح نفسها وهذا هو الأرجح .  
— حقاً هو بالفعل مصري .

كان من الممكن الحديث أن ينتهي هنا ، لكن ناجي ندى سهرس  
لعودة الرجل إلى الموضوع قرر أن ينشيطه . قال :  
— ممكن أيضاً أن يكون إسرائيلياً ، بل هو كذلك بالفعل .  
اندهش الرجل وسأله :

— ولماذا تجرم ؟

— العرب لا يحسنون من كتابة ما يريد أنه صحتهم ، ربما يفخرون ،  
أنت طبعاً تعرف تاريخ العرب ..  
فكر الرجل قليلاً وابتسم وقال :

— صحيح . البعض لا يتورع عن صيد العظماء ، وألف مينة ولينة  
نفسها صناعة عربية !!  
قال ناجي :

— لكن هذا لا يعني أن الإسرائيليين يحلون . إنهم فقط يتجاهلون .  
لا يحبون الإمساك عن هويتهم في هذا الشأن لأنهم مهتمون بسروج  
هذه المفارقة بين الشباب العربي . هنا مثلاً في تعريش أيام الاحتلال  
كانت السينما الوحيدة في البلدة لا تعرض إلا لأفلام جنسية ،  
وأفلام من نوع خاص يدرس الجسر فيها بشكل عائلي . وكانت  
أفلام كوميدية أيضاً . إذ يبدو كل شيء يحدث بالطريق الخطأ غير  
المقصود بين الآباء والأمهات ، والآباء والبنات ، فيبلغ المتفرح  
السم من خلال الكوميديا . وكان لسبب لسبوى سهرس سهرس  
داخل إسرائيل طلبة الأسبوع فيكتب كثير لكن اندعية لإسرائيلية  
سوقه آخر الأسبوع يعصى أحاربه في مو حبر نافا يعقو بعد كل  
شيء اكتسبه في الأيام السبعة .

كان الرجل خلال هذا الحديث ينظر إلى ناخى كأنه يراه لأول مرة .  
وقال :

— كلامك معقول جداً .

— هنا ابدع ناخى فى الشبطينه وقال :

— كذلك لا يصح لإمر بيور ما يشير إلى صدقهم لهذا الدمار لأنهم لا بد وضعوا فيه مادة قاتلة ، أو على الأقل تصيب دماراً للجهاز التناسلى .

— يا سائر يارب .

— هب الرجل واندهش ناخى لنفسه وشبطينته المفاجئة هذه . لم يكن لديه أى سبب واضح لذلك لكنه ظل سارداً فيه . قال :

— هل تعتقد أن إسرائيل تهتم أن يستمتع العرب جنسياً ؟ هل تثق فى ذلك ؟

— لا أظن .

— إذن لا تنتظر خيراً ، والأفضل أن نتقى بهذا الكريم .

— سكنت الرجل منحيراً بحق ثم قل بصوت هامس مكسور :

— طمأنه من المناسب أن نحبر أصدقائنا أيضاً ودخلا فى صمت قصير لكنه عميق ، ولا بد أن الرجل قلب الأمر على أكثر من وجه لأنه عاد يقول .

— لكن ألا ترى أننا نشتد أذن من اشترى الدخان الملعون ، لماذا إذن لم نسمع عن أى عرض سلبى له ؟

— عانت روح الشبطينه بسرعة إلى ناخى :

— لأنه فى مثل هذه الأمور بحسن التكم . هل تعرف أنت مريضاً وحاداً بالزهري مثلاً ؟ لا أظن . رغم أن الزهري مرض شائع .

— فما بك والامر يتعلق بمرض خطير . لا أظنك ستصل نداء إلى مريض واحد .

— معك حق .

— عاد الرجل يتحدث بصوت خفيض ، وفى كلمته لا يزل ما يشى بالارتباك وعدم التصديق . وقال ناخى :

— لا تنس أن مريض الزهري يصاب بسبب عدم التمييز بين النساء ، لكن فى مثل حالتك ، وأسف على التعبير ، الأمر يتعلق بالعجز الجنسى .

— نقصد مرض ومصيحة ؟

— هذا بالصبط .

— ودخلا فى الصمت العميق للحظات ثم اهتز الرجل وتوسعت عيانه بالفرح ، وهو يقول :

— نكنك اشريت نفس الكريم .

— أحببت أن لأسبب لك أى حرج فقلت ذلك ، والحقيقة أنى لم أشتد .

— عاداً للسكون وبدأ الرجل حربناً حتى نفذ أسود وجهه ، ودخل ناخى فى طور من اللوم لنفسه على جنونه المبالغ .

— فى اللحظة التى توقفت فيها السيارة ، وبعد أن انتهى مسئول الرحلة من الاعتذار السخيف عن عدم عبور السلك ، وقبل مغادرة الميكروبيس ، همس الرجل إلى ناخى قائلاً :

— أرجو ألا تتحدث معى فى هذا الموضوع مرة أخرى . سوف ألقى بالكريم بمجرد وصولنا إلى انشاشطين . لا نحاول أن نذكرى به .

— النبيا صغيرة كما تعرف وقد لفتى مرة أخرى فى مكان حر ، حينئذ لا نذكرنى بهذا الموضوع مهما مر على لعنت اليوم من زمن ... هل يصابك هذا ؟

— لا يصدمنى أبداً .

قال ناجي ذلك كارهاً بفسه أشد الكره . لقد رأى الرجل يجاهد  
لدموع هني لا تندفع من عينيه .

\*\*\*

## المساء

ليس لفرق المرأة ظهرت المسحب الرمادية عند الأفق وقت  
الغروب ، لكن العريش وشاطئها تطويل المنسرح كمرأة رائعة القوام .  
هذا الشاطئ المفتوح على البحر الأبيض المتوسط يتدافع إليه أحياناً  
سحب تبدو شتوية ، لذلك فالعريش رغم أنها على الساحل الشمالي للبلاد ،  
مثل الاسكندرية ومرسى مطروح ، إلا أنها دائماً أقل حرارة من  
المدينتين .

بدن البحر حارياً يبعث على الحر ، كما لو كان في الاسكندرية في  
سبتمبر حيث تبدأ المسحب الرمادية في الركض فوق البحر ، ويصل قواها  
لسمن متعبة إلى لشو ضي ، لقد نسي الجميع موعد العشاء فإذا يريد  
و لأطفال يتنول يمانون عنه . لم تكن هناك شهية للطعام عند الكبار رغم  
الجوع . أدخلت نور الصباح لأولاد إلى إحدى الغرف وتكلموا . اكتشف  
ناجي أنه لم يخنع حذاءه حتى الآن فخلعه ، ثم وهو يدخل العشاء إلى إحدى  
لغرف اكتشف أنه لم يخلع ثيابه فخلعها ، وارتدى الثوب ، وعاد إلى  
غرفته يستنشق لهواء جسمه .

سمير لم يصل بعد . ربما صل طريقه كما قال حواء مرحاً ، سيعود  
سمير بعد سنوات ليديق أبواب العريش ، ويحكي قصته الرهيبة عن  
النصر ، والكهف الذي ظل قابلاً فيه ، وكلما خرج وراء أحد وسائه

إلى المدينة رفض وطلب أن تأتيه الأوامر من ممثل الرحلة ، أو ناجي ،  
ونكون واضحة محددة ، فعلى أنه أن الحرب انتهت . قد يحدث كثير هذه  
الأيام إذ يجنون جنوداً يائسين شاحوا في العبدات ولم يسلحوا سلاحهم  
ولا عادوا إلى وحدتهم منذ الحرب العالمية الثانية ، لأنه ببساطة لم تصل  
إليهم أوامر من قائدهم بانتهاء الحرب .

\*\*\*

## رفح

كان لديهم عدد قليل من دبابات « ستالين - ٣ » ودبابات  
« ت ٢٤ » وضعوها داخل حفر عميقة . وكانت كثيئة ضمن أحد أولية  
فرقة المشاة السابعة التي تمتد في السهل لتدفع عن المنطقة ما بين رفح  
وحط السكة الحديد القديم اندي لم يعد منه الآن إلا ليدف القديمة الصلبة  
التي ظهرت في طريق فذرمهم إلى العريش على مسافات مرامية . كان  
لديهم أيضاً عدد قليل من المنايع المضادة للطائرات ، وقذائف البروكا ،  
وكان الليل صافياً ، صحراوياً ، يهيم بالكون .

في الصباح استمعوا إلى صوت المدافع والقذائف بالقرب منهم في  
خن يونس ، وزأوا الطائرات وهي عائدة من الأجواء المصرية . لم يكن  
يعرف ، لا هو ولا أحد بعد ، أن هذه الطائرات دمرت المضاربات  
والطائرات المرافضة بها ، وأن الحرب انتهت ولم تبدأ بعد .

لثت الطائرات عليهم ، تقصف بشدة مواقعهم ، مواقع الدبابات  
والمشاة والمدفعية . اندفعت نحوهم دبابات اللواء المدرع السابع  
الإسرائيلي اندي يفوز جوبين ، وأخذت الطريق الرئيسي رفح -  
العريش - القنطرة ، وتجاوزتهم . وحينما دخلت الدبابات بلدة رفح ،

واحد جوبير من معسكر رفح مقر قيادته ، كانوا هم لا يزالون يقاتلون ما يقدم إليهم من جنود من دبابات . استطاعت الدبابات « ت - ٣٤ » القليلة الناقية : أن نصيب الكثير من دبابات « المستوريون » قوبه الدروع وذات المذافع المتفوقة ، بل وأصابت أيضاً عدداً من دبابات « الدانون » .

عادت الطائرات « الفوج مسير » الإسرائيلية لصرب المدفعية المصرية والدبابات القليلة الباقية . رجال المدفعية الشجعان ، رأهم ناجي ، وهم يتنحرون عن مدافعهم حين تأتي الطائرات ، ثم يعودون إلى ما تبقى منها بعد حفاء الطائرات ، ويواصلون إطلاق النار على مشاة العدو ودبابات الدانون والمستوريون . هل قال أحد إنه حتى مساء اليوم التالي ، وكنت العريش قد سقطت ، ظلوا هم يقاومون في منطقة رفح ؟ إنهم حتى لم يستسلمو جميعهم ، استشهد أكثرهم ، والقليل الباقى ظل يصرخ مجروحاً في الخلاء ، وقل منهم من استطاع العودة عن طريق ليدو إلى قناة السويس بسلام . هذه الصحراء التي رآها في الصباح ، والتي رآها يوم حضورهم ، لم تكن هي أبداً التي هرب به البدو بين مساكنها الخفية ، رغم أنه ربما يكون قد مشى على نفس الرمال في الظلام .

\*\*\*

## الطريق

يمشي سمير كثيراً في الصحراء حتى يتعب فيقابله أحد وسمير وحمار وحشي وعزالة وكوبرا ، فيدخل أول مغارة تقابله فيجد بحيرة من الرثيق . تكون العرانة قد تحللت حلقه والحمار الوحشي والنمر والأسد والتكوير ، فلنهم الأسد العرالة ، ولنهم النمر الحمير الوحشي ، وتقف

الكوبرا رافعة رأسها ، وبقفز هو ، سمير ، إلى زورق مراكب على شاطئ البحيرة . يجذف بجذابه ليصل إلى المنتصف ، ويظهر إلى الأسد والنمر والكوبرا التي تنظر إليه . يتمنى ناجي أن يعود سمير بسرعة فلا يفقد التكميرا ولا الأعلام .

\*\*\*

## الفتاة الفلسطينية

يرى ناجي الناس تعود إلى لهوها على الشاطئ . لا يزال في الدنيا بعض ضوء أبيض . تظهر ألعاب الكرة والمضرب . ويرى لفظة تمشي وحيدة على الشاطئ . لكنها تنظر ناحية الشاليهات . تشير إليه رفعة ذراعها وتبتسم ، لكنه يتردد في رد التحية . لسبب لا يعرفه يتردد . ربما لأنها فاجأته . وربما لأنه يجلس في الشرفة وحيداً ليس معه أطفاله ، وهي ما اعتادت أن تنظر إلا إلى أطفاله .

\*\*\*

## المساء

ابعد قرص الشمس عن الدنيا ، ومثل نحو الأفق الأحمر متسعاً ، يحنف وراءه إحمراً طاعياً يستبد بالفضاء ، هيميل اللون الأزرق للماء إلى الخضرة اللقائمة . لا بد أيضاً أنه صار ثقلاً أسماء الآن كما يحدث كل مساء ، ولا بد أنه ارتفع بتأثير المد .

يرى ناجي العدد القليل من الدب لا يزالون في أسماء بسبحون في حرمة من الأشعة الحمراء ، وقرص القمر بعيد ويبسح أكثر ، ويردك

الأحمر ان فوق الدب ولا تشعل ، هذا المشهد الجميل انذى يراه كل يوم ،  
والذى يبطل حتى يوم الدسوبة ، هو السماء فى بلاد الشرق . التحيل  
ساح فى الأحمر يلعب بنحه فى أعداقه لصعراء ، ونميق إلا طاعمو النخل  
يستقون التحيل . يراهم ناجى يصعدون الجنوح بحفة ومهارة كفصيل من  
المهرود ، يد يحبس إليه أنهم أضفان عروة نصر الوجود سود العيون أرباء ،  
سعدده بنوع البلنج فوق الأرض ويصحبكون . لكن هذا التخييل الجميل  
لايرل يصعد الأسى فى روحه .

\* \* \*

## بحيسى

وقفت سيارة جيب عسكرية أمام الفندق يا أستاذ ، كان الحر قد طرد  
لهوه من البلاد ، وكانت الحرب قد طردت الناس . تقدمت إلى الجندي  
الذى يقود العربى برجاختين من الماء انقرا . سألتى ماذا أريد . قلت  
حزراً . سألتى هل أنا وحدى فى الفندق ، قلت نعم وقد سافر صاحب المال  
إلى الموصل . سألتى اسمى قلت بحيسى ، فقال « وأنا اسمى منى »  
وأعطينى لخير وأخذ نماء . راح يمر على كل يوم وقت الظهيرة يعطىنى  
نحير ويأخذ الماء . كانت لدى رجاءات منه كثيرة ، مناب . ومذت من  
رجاءات لبيرة أيضاً ، والفندق لا يأتى إليه أحد . البصرة منية أشباح  
وليس معى غير هذه القطة وهذا الكلب . كنت وجدت القطة نموء فى  
أشوارع الحالى وسط غارة عبيبة ، فخرجت إليها وحننتها إلى الفندق .  
أما كلب فأمره حب ، كنت نانماً بالنيل حنف طولة الاستقبال ، سمعت  
ما يشبه حربية على رجاء انباب المغلق ، قمت فى العتمة متحفرأ ، لم  
يكن مسموحاً بشعل أى ضوء فى الطلام ، عامرت وأشعلت عود نقاب ،  
كان هناك رصاص كثير بطلق فى سماء المدينة من اترشاشات والمدافع

المصادرة للطائرات ، ولم تكن هناك طائرات .. عملية عسكرية يسمونها  
تحييط السماء تحسباً لأى هجوم جوى . رأيت حلف الزجاج هد . الكلب  
يقف فوق المائز الرمنى على قدميه الحافيتين ، ويصرب الزجاج بهديه  
الأماميتين . هكذا بالصيط . رأتى فكف عن ذلك ، وبصر إلى يدي  
الكلام . فتحت له الباب فاندفع إلى انزله . ثم سبح مرين ، واقرب  
منى ، يمسح رأسه وجسمه فى ساقى . بسرعة ساق مع القطة ، ثم ذاف  
جميعاً بعد أن انضم سيقى إليها .

كان يمضى معى وقتاً طويلاً ، وصار يمضى اجارته فى الفندق بعد أن  
ماقت كل عائلته . سألتى لماذا أبقى فى البصرة فى ظروف الحرب ؟  
ووجدت نفسى أقول وأبين يمكن أن أذهب ؟ .. الحقيقة لم أكن أكذب ،  
ولا أعرف كيف كان ذلك صادقاً أيضاً . إنه احسس قد تجده عند الكثير  
من المصريين هنا ، رغم أن ظروف المعيشة صعبة ، ولا شيء يشجع  
على البقاء ، فلعراق ليست السعودية ولا الكويت يا أستاذ ..

كان سبتي كثيراً ما يتعجب من بقائى هذا ، ويضحك فى النهاية .  
وكنا نشرب البيرة معاً رغم أن ذلك محظور على الجدد . ولا أنسى يوم  
شرب سبتي صندوقاً كاملاً ، ثم اندفع فى بكاء طويل عميق انهمرت فيه  
دموعه كنهرين . لقد طن يبكى لأكثر من ساعة ، حتى طست أن البيرة  
انتهى شربها كلها تحولت إلى دموع . بعد ذلك دخل فى صمت دم ،  
وانشغل عنى بالبقاء فى إحدى العرف . ثم أعلننى أنه كار يكتب مذكرته  
عن الحرب ، وطلب منى أن أعطيها لأحد من وفود الكتب والصحف  
التي ستغد على البصرة بعد الحرب ، ولم أعد أراه بعد ذلك اليوم .

\* \* \*

## المساء

يفتح باحى بعد أن أحس فجأة أن هدوءاً غريباً شمل المكان فلم يعد يسمع حتى صوت الأطفال داخل الشائيه ، ولا صوت نور الصباح أو شذية ، رأى الشمس قد ابتعدت في الماء ، وأخذت وهي تنطفئ فيه أشعتها لعمراء معها ، وتركت تقدم الأسود يرحف من فوق الماء وتحت السماء ، به : باجى ، يميز الخط الفاصل بين السمرة القاتمة ، والحمرة النازهة ، ويرى مجموعة السحب الرمادية المنخفضة البعيدة تقترب من الأفق ، وتتخللها أحر الأشعة الحمراء التي تظهر من خلفها ، فتبدو السحب كستار رفيع من دحان عند طرفها الشمالي . بينما يتسرب وسطها وضربها القريب بالحمرة . لكن كل ذلك يحتم الآن شيئاً قسياً . يخيل إليه أنه لمح شبح انتفاة الفلسطينية عتدة ، لكنه لا يرى إلا خيالات عدد من المخرجين من الماء يتقدمون ناحية الشائيهات . يستغرق انبيل كل شيء فلا يرى إلا نهايات الأمواج ذات الزيت ، وسمع وشيشها يرداد . يجد نفسه يمشى إلى الماء . يقترب منه . أتمه انغمس الجميع لم يعد فيه غير رجل بدا له غريب الأضوار حقاً إذ يصعب ابتقه الصغيرة فوق عوامه ، ولطفلة تصحك غير حائفة ، والرجل يصحك سعيداً بينما يسبح بها في دائرة واسعة . يخيل له حتى أن البحر سوف يرتفع إليه ، ويلتف حونه في فوس كبير ، ثم يصيق ليدور به أتمه مذوماً ، ويمضى إلى غير نهاية . لكن البرد التفتيح لدى ينسحق في انضمام يحمله إلى سوارح موكو بعد أن يشرب كأساً من كوكبات الأرمي . لقد دق حرس التلغراف في اللبنة الأخيرة في نفس الساعة الصاعدة حيث ينظرها . رفع الساعة منه بأته صوت . رصع السماعه فسمع دقات التلغراف مرة أخرى . رفع السماعه ولا من محب .. أولا . أولاد . كليبوا . ولا زديأتى إتمه . هل كانت برسا أن سيق من انضره لها ؟ ثم زبده أن سيق من عدم حضورها

إنه ؟ .. كل شيء يتغير حوله ، وما كان عليه أن يقامر بفرص نفسه على النساء . هل سيخسر كثيراً في المستقبل ؟ ولماذا جفاً يرداد البرد اللبنة ؟ .. يرى شحاً يقترب منه مسرعاً وحاملاً . يجده سعيداً يمشى بسرعة حاملاً منه من البوص وشبكة على زراعته . يسعه بحبيه قليلاً حتى يحتفى الرجل في الظلام .

\* \* \*

## القصائد

ثم يكن يدري أن الموج الذي يرتفع بفعل المد ، يقترب منه وهو يجلس وحيداً الآن على الشاطئ . لامست موجة أطراف أصابعه وأحس بالضاء الكافى . ثم يتراجع من مكانه . مد ساقيه إلى الأمام أكثر . عادت موجة لكنها كانت أضعف من سابقتها فلم تلامس أصابعه . زاح يتابع الموج . واحدة تلمسه وأخرى تعجز عن الوصول إليه . هذا العمل المجنون للبحر يبدو بلا طائل . ثم لامس فتميه شيء ناعم ورحو ولزج . نهض واقفاً وتراجع في فزع . نظر ليجد فوق الرمال قنديل يلمع وسط الظلام ، ثم رأى قريباً منه هدبلاً آخر ، وثالثاً ورابعاً . أعداد كبيرة من القناديل حملتها الأمواج دواءً إلى الشاطئ بلا حركة . التفت ليعود إلى الشائيه على مهل . للحظة فكر أن كل الزمن الذي عاشه كس مكرساً لأبعد الحقائق ، ولا بد أن شخصاً آخر هو الذي عاش ما مضى من زمن ، ولا معنى لنشر مذكرات الجدى المسكين صديق يحيى . لقد حلم الجدى بيوم تنتهي فيه الحرب وتمضى من الذاكرة ، لكنه انحصر لطريق الموت . إلى النهاية والنسيان . وباجى لم يعد يذكر حفنة - في أي مكان انقطع بشك المعكرات . كأنه كان بصرف أن حرباً أخرى ، سنصب ، وجحشاً آخر سقيم . وحى بنمى الناس الحزم بحبيده

سُئِلَ لهم حرب أخرى وسيقام لهم حديم آخر ، في الشرق أو في الغرب . لكنه ، سحى ، بسفص وقرر أن يفجر بالكلام . يحكى لأولاده الحكمة التى أعفها طويلاً ، والتى كن يحكيها يوماً للناس بمعادة بالغة .

\* \* \*

## الفردان

تلاقت العيون صامنة ، وهو يرى زملاءه من صيادى الدبابات فى عدتهم الكاملة ، يخرجون من خنادقهم ، وينبعون صباطهم بلا كلام . قد عبروا القناة ومعهم مجموعات من سلاح المهندسين ، لفتح ثغرات فى حفول الألغام على الضفة الشرقية . هذا ما عرفه فيما بعد ، بعد اختلاطهم بساعات ، حين احتشد جمده بالدمع وهو يرى طائرات « السوخوى » و « هوكر هنس » تمرق من فوقهم على ارتفاع منخفض ، مندفعة إلى عمق سيناء . ثم يتسع الوقت للسؤال . ما كادت الدهشة تتمدد ، حتى اهتز الفصد بالرمى المدفعى الكثيف على طول الجبهة ودخلت الأرض فى محاص ..

صبرت وحدات من الصاعقة المترجلة القناة على الروارق المطاطية مع الدقائق الأولى للرمى المدفعى ، لتتساقط نحو محاور الحركة فى العمق ، لتعرض تدفق المدرعات الإسرائيلية . وحدات المشاة الرئيسية عبرت القناة على قوارب المطاط بأعداد هائلة . لم تظهر الطائرات الإسرائيلية لأربعين دقيقة . حين ظهرت طائرات القنوم وسكاي هوك طارت إليهم صواريخ « سام ٢ » و « سام ٣ » و « سام ٦ » وصواريخ الكثف « سام ٧ » ومئات المدافع المضادة . تساقطت بطائرات ممرعة . ارتفعت صيحات الكبير والبهليل ولم تنقطع . عند

الصاعقة الخامسة انقطع الطيران الإسرائيلي عن الظهور . كان سحى ف أصبح مع الآلاف غيره على الضفة الشرقية لا يتظر حله قط . ثم يسرك فى حصار المواقع الإسرائيلية التى تساقط بسرعة . وتأنيهم عز أسلاك الإشارة أحبار فتح الثغرات ومد الحصور على لفة . لقد ارتفعت لأعلام المصرية على أكثر من مكان فوق خط بارليف المهيب . توالت عليهم فتائف المدفعية الإسرائيلية لكن لم يبد أن القصف مزب أو مؤثر .

دخل الليل ومعها أتى صوت هدير المدرعات التى ينتظرونها منذ اتعبوا . نفذت الجسور فى أكثر من مكان بسدح ، لا بد أن اليوم السابع من أكتوبر سيكون يوماً جديداً . انهمك الجنود طول الليل فى حفر الحفر الترميلية . وعبئة الأكياس بالرمال يحيضون بها خنادقهم . لم تكف الدبابات الإسرائيلية عن محاولة الاقتراب طول الليل ، ولم تكف دباباتهم عن إطلاق النيران عليها ومعها المدافع من الضفة الغربية . انفجارات اندبابات الإسرائيلية بعيداً حول الليل إلى أفق . كل دبابة تشتعل فى الأفق كانت مثل فجر يفجر . تشمله رعشة وحشوع . إنه يسمع صوت المقدم إبراهيم زيدان وهو يشرح لهم فى الظلام . سيتورعون فى حفر تعالت على بعد كنومئرين من القناة . سيعبر فوقهم لدبابات الإسرائيلية ولا يهجموها . ينتظرون حتى يعبر اللواء لإسرائيل كله ثم يقفون فى الخفر ، فى الخلف وعلى الجانبين ويطلقون جميعاً وفى وقت واحد صواريخهم « اساجر » وفائف « الأربى جى » سيتحول الكمين إلى أرض قتلى .

على قدر نفهم فى انتصر كان عصامهم بالصمت . وكان لصمت عبقاً . فى التاسع والنصف صباح اليوم الذى تقدمت سره سطلاع إسرائيلية . نصنت للسر كديه ألغقت عضير لىاب . به لا بسى . طلو هم فى حفرة معنصعين بالصمت مع قنصهم . نيس هذ هو نصيب المنقصر . فى حوالى العاشرة كان اللواء الإسرائيلي « ١٩٠ مدرع »

الذى سيكون يدمره حدث الذئب ، يتقدم من « هيبات » على بعد خمسة عشر كيلو متراً من مواقعهم بمرعة كثيرة . لم يصفقه أى رمي بمهيبى ، ولم يؤزره ، طير ان إلا من بعيد خوفاً من الصواريخ صاعقه الطلرات . عبرهم اللواء فى طريقه إلى القباء ولم يصل . فى وقت واحد انتصبوا كالجئون وصوبوا قذائفهم الزهية . فى ثلاث دقائق تم تدمير اللواء . بعد ذلك بوقت قليل عثر الملازم هحى بحيت وجنوده من رجال الاستطلاع ، على قائد اللواء عساف ياجورى وطافم قبائته وهم يحتمون بهدى الحفر القريبة من أرض المعركة . لقد اشتعلت نهاية القائد وطافم قيديته فيما احترق من دبابات . قالت إسرائيل إن عساف ياجورى ليس قائد اللواء ، بما هو قائد كتية منه . لم يهم ذلك أحداً . لقد تم تدمير اللواء جميعه ، وصار الفلاحون المصريون صيادى دبابات . قال ذلك لإسرائيليين أنفسهم ، وكان هو واحد من الفلاحين الذين جعلوا إسرائيل تسمى ذلك اليوم بأطول يوم .

حدث ذلك كله أمام جسر العردان - المكان الذى عبروا فوقه يوم الجمعة لمناصية تدمير إلى التعريش ، والذى سيعبرون فوقه عند عودهم . ن ن يتأخر فى اترد على زوجته وأطفاله حين يسكنونه من جديد عند العودة . ن يحجل . وهل يخل حقيقة أم لا يجد معنى للقصة كلها بعده من سنوات ؟ ليس على المحارب الذى شعر يوم بالرضا والمحر أن يقوم أى ذكرى طيبة .

\*\*\*

يصل إلى الساحة منعشاً ينادى نور الصباح ، يتسدل وهو واقف .  
نور سده ثم يجلس بعد

هل حزمت الحفائف استعداداً للسر ؟

هى تعرف أنه لا يستطيع أن يمسك بسهولة بالثواريج وأسماء الأنام . لم تعرف أن سبب التحط هذه المرة رعبه المعجاة ، الطفولية ، أن يعود إلى منطقة العردان ، لتعود هى إلى سؤاله عن صيد الذئبات ، فيحكى بها القصة كاملة ، ويسمعه الأطفال . لذلك بسمت وهى تقول :

لا يزال أمامك يوم آخر . ستنتهى الرحلة بعد غد .

ثم بعثق . جلس على انقوتيل الموصوع بالفراندة صدمت بينما مدت يدها تشعر انلغريون قبل أن تجلس .

رأى أمامه حدثاً من الإسرائيليين يجلسون على شاطئ لبحر فى حفل سمر . أمامهم أحد اليهود الفلاشا نوأصين حديث إلى إسرائيل ، عزري إلا من الریش انصوين يعطى نصفه الأسفل ولا يصل إلى ركبيه . بين الإسرائيليين نساء وأطفال ، وكانوا جميعهم يبص بوجوه ، باستثناء اليهودى الفلاشا وزمينة لندى بعب قريباً منه ينق له على نظينة بريدع سربع بينما يدور الأول حول طاولة معدة على الأرض ، منيلة بالمسامير انمثلة بحيث تكون مقوية . منيع الحفل يقف فى يده « المايك » يقول كلاماً سريعاً وينفعال شديد حتى هدأت دقات الطبل ، وهذا صوت انمديع ، فانطرح اليهودى الأسود للعرى إلا من الریش على طاولة التماسير ، وصفق المنديع بشدة بعد أن وضع المايك تحت إبطه ، لكن لا احد من اليهود النيص ، رجلاً أو امرأة أو طفلاً ، تبعه إلى اللصفيق ، ولا لمح ناجى واحداً منهم بضحك أو يبتسم . بدا له اليهودى الفلاشا مسكياً حق ، وأظهرت انكاميرا عنداً كبيراً من اليهود للنصر مسكين فى أحدث .

التفت ناجى إلى البحر الذى ارتفع فيه صوت الموج . جنببت عينيه  
الأضواء القوية القادمة من فوق الماء وسط الظلام العميق . زوارق  
كثيرة حقا هذه الليلة تجوب الماء . لكنه لا يزال يصدق أنها زوارق حقيقية  
تبحث عن عصابات المهربين . إنهم أولياء الله يمشون على الماء رافعين  
ببارقهم الضاوية ولا شيء آخر .. لا شيء آخر ..

انتهت

أغسطس ١٩٩١

مايو ١٩٩٢

## للمؤلف :

أولا : الروايات :

١ - « فى تصيف المايح والمئين » :

الطبعة الأولى : دار الثقافة الجديدة - القاهرة ١٩٧٩

الطبعة الثانية : الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٩

٢ - « المصافات » :

الطبعة الأولى : دار المستقبل العربى - القاهرة ١٩٨٢

الطبعة الثانية : إدارة الشؤون الثقافية - بغداد ١٩٨٩

الطبعة الثالثة : الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٠

٣ - « ليلة العشق والدم » :

الطبعة الأولى : مطبوعات القاهرة - القاهرة ١٩٨٢

٤ - « الصيد واليمام » :

الطبعة الأولى : دار المستقبل العربى - القاهرة ١٩٨٥

الطبعة الثانية : إدارة الشؤون الثقافية - بغداد ١٩٨٦

الطبعة الثالثة : الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٠

٥ - « بيت التيامين » :

الطبعة الأولى : دار الفكر للدراسات ١٩٨٧

٦ - « ~~الطبعة الأولى~~ : الميمنة الأخرى -

الطبعة الأولى : دار الزين للنشر - بيروت ١٩٩١

- ٧ - « مذكرات عبد أمريكي » :  
الطبعة الأولى : مؤسسة الدراسات العربية ١٩٨٧

#### ثانياً : القصة القصيرة :

- ١ - « مشاهد صغيرة حول سور كبير » :  
وزارة الثقافة - سوريا ١٩٨٢
- ٢ - « الشجرة والعصافير » :  
مختارات فصول - القاهرة ١٩٨٦
- ٣ - « إغلاق النوافذ » :  
مختارات فصول - القاهرة ١٩٩٢

#### ■ دار معاد الصباح

لنشر ونوزع

هي مؤسسة ثقافية عربية  
مسجلة بدولة الكويت  
وجمهورية مصر العربية  
ويهدف إلى نشر ما هو  
جدير بالنظر من روائع  
التراث العربي والثقافة  
العربية المعاصرة والتجارب  
الابداعية للشباب العربي  
من المحيط إلى الخليج وكذا  
ترجمة ونشر روائع الثقافات  
الأخرى حتى تكون في  
منازل أبناء الأمة فهذه  
الدار هي حقة وصل بين  
التراث والمعاصرة وبين  
كبار المبدعين وشبابهم  
وهي نافذة للعرب على  
العالم ونافذة للعالم على  
الأمة العربية ولتتروم الدار  
فيما تنشره بمعايير تضعها  
هيئة مستقلة من كبار  
المفكرين العرب في  
مجالات الإبداع المختلفة .

#### هيئة المستشارين :

- |                      |                       |
|----------------------|-----------------------|
| أ. إبراهيم فريح      | ( مدير التحرير )      |
| د. حليم عصفور        |                       |
| أ. جمال الخطاطي      |                       |
| د. حسن الأبراهيم     |                       |
| أ. حلمي تكتوني       | ( المستشار الفني )    |
| د. عبدون النقيب      |                       |
| د. سعد الدين إبراهيم | ( العضو المنتدب )     |
| د. سمير مرحسان       |                       |
| د. عدنان شهاب الدين  |                       |
| د. محمد نور فرحات    | ( المستشار القانوني ) |
| أ. يوسف القعيد       |                       |

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>



منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

في هذه الرواية القصيرة ينتقل إبراهيم عبد المجيد إلى أرض جديدة ومكان جديد - صحراء سيناء هذه المرة - ويكتشف السطح الشمالي من العرش إلى رفح ، بعد أن كتب عن الإسكندرية كمجوهلة روايات « الصياد والجمام » و « بيت الهنود » و « ليلة الحظوظ والدم » و « العنقايات » . وبعد أن كتب عن الصحراء العربية « الفلسفة الأخرى » .

الصحراء الصغيرة المتألقة وهي تفكر القلب هو الإحساس الذي لازم إبراهيم عبد المجيد وهو يكتب هذه الرواية القصيرة . هكذا يقول في تقديمه لها . وأرواية محاولة كمحاولات المؤلف الدائمة للإحساس بالاحياء .

في هذه الرواية تتلجر سيناء بالشكرات ، والتي تحمل البحر إلى الشمال حتى مومسكو وكيف يتوحد به إلى بلاد العربية - الموصلي والصحراء والعرش ورفح ، وتظهر اللغة بالشعر كما هي عادة عند إبراهيم عبد المجيد ، وتصل بالأسئلة إلى القلب . أسئلة الرواية عن قصص الحب المقطوعة ، والمروء التي بلا معنى ، والقناديل التي يضيئها الموج ..



منشورات



منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>